عقيدة الفرقة الناجية

(أهل السنة والجماعة)

الصابوني

الشوكاني   محمد بن عبد الوهاب

إعداد وتقديم

عبد الله حجاج

الناشر

شركة السلام العالمية

٥ شارع الخطيب بالدقي

بسم الله الرحمن الرحيم

« بين يدى العقائد »

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تسألون به الأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) .

(يأيها الذين آمنوا اتقو الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) .

أما بعد : ـ

قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث المشهور فى السنن والمسانيد كسنن أبى داود والترمذى والنسائى وغيرهم ولفظه :

(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ،وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة . وفى لفظ على ثلاث وسبعين ملة وفى رواية قالوا : يا رسول الله من الفرقة الناجية ؟ قال (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى) وفى رواية قال (هى الجماعة يد الله على الجماعة) . فاعلم رحمك الله أن الاختلاف المقصود بهذا الحديث هو الاختلاف فى أصول العقيدة . فان هذا وحده هو الذى يكون سبباً فى النجاة إن وافق ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويكون سبباً فى الهلاك والتباب والخسران إن خالف ذلك أما الاختلاف فى الحرف والصنائع وضروب العلوم والفنون فلا يمكن فيه ذلك بل ربما كان هذا الاختلاف واجباً لأن به قوام الأمة وحياتها . وأما الاختلاف فى الأحكام العملية الفقهية فليس مراداً أيضاً لأنه مبنى على اجتهاد وبحث مأذون فيهما .

ثم اعلم ان افتراق الأمة فى أصول العقيدة قد حدث فعلا بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ،وأن الناجى من هؤلاء المختلفين فرقة واحدة هى المستمسكة بكل ما كان عليه الرسول وأصحابه وما عدا هذه الفرقة فهم فى ضلال وتتبير ،وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الميزان الصحيح الذى تعرض عليه المعتقدات ليبين صحيحها من فاسدها ،وهو أن كل ما خالف ما كان هو

وأصحابه عليه فهو رد على صاحبه غير مقبول منه . وذلك يقتضى ألا تأبه لما تزعمه كل فرقة لنفسها من أنها هى الناجية ومن عداها هالك ! فما من فرقة حتى الذين ألهوا البشر إلا تتبجح بأنها على الحق !

فاعرض كل ما تسمع على كتاب الله وما صح من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان وافقهما فهو الحق الذى يجب أن تعض عليه بالنواجذ ولا تفارقه ولا تميل عنه .

ولا يغرنك ما تراه الان من كثرة الفرق الشاردة فهو أمر قد أخبر به صلى الله عليه وسلم فى قوله : (إنه سيخرج فى أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه . لا يبقى من عرق ولا مفصل إلا دخله) رواه أبو داود .

ومعنى هذه الرواية أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بما سيكون فى أمته من هذه الأهواء التى افترقوا فيها إلى تلك الفرق، وأنه يكون فيهم أقوام تدخل تلك الأهواء قلوبهم حتى لا يمكن فى العادة انفصالهم عنها وتوبتهم منها على حد ما يدخل داء الكلب جسم صاحبه فلا يبقى من ذلك الجسم جزء من أجزائه ولا مفصل ولا غيرهما إلا دخله ذلك الداء . وهو جريان لا يقبل العلاج ولا ينفع فيه الدواء، فكذلك صاحب الهوى إذا دخل قلبه وأشرب حبه لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان ولا يكترث بمن خالفه . هذا هو حال أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء .

أما طريقة أهل السنة والجماعة فهى اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بهاوعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة).

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام الناس ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة. فهم لا يتبعون إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لاينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، فهو الذى يجب تصديقه فى كل ما أخبر وطاعته فى كل أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة. بل كل الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم. من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة.

وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هى الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعاً لها تصديقاً وعملا وحباً وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها.

وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة) .

وفى محاولة لفهم ومعرفة أوصاف تلك الطائفة الناجية جمعنا بحمد الله ومعونته هذه المجموعة بعد أن كانت مفرقة، بل وكان منها ما هو غير موجود ، وذلك ليتم النفع بها ونعرف من خلالها سبيل المؤمنين حتى نتبعها ونستبين بضدها سبيل المجرمين فنحذرها (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) . نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا ممن اتبع سبيل المؤمنين . وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب . وصلى الله على محمد وآله وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

حدائق شبرا : عبد الله حجاج
فى ربيع الأول سنة ١٤٠٠ هـ

الرسالة الأولى

التحف

فى مذهب السلف

لشيخ الاسلام القاضى العلامة محمد بن على الشوكانى
رحمه الله تعالى آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام وآله الكرام ورضى الله عن صحبه الأعلام * وبعد * فانه وصل سؤال من بعض الأعلام الساكنين ببلد الله الحرام وهذا لفظه .

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله رب العالمين، ما يقول فقهاء الدين وعلماء المحدثين وجماعة الموحدين فى آيات الصفات وأخبارها اللاتى نطق بها الكتاب العظيم وأفصحت عنها سنة الهادى إلى صراط مستقيم، هل إقرارها وإمرارها وإجراؤها على الظاهر بغير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل عقيدة الموحدين وتصديق بالكتاب المبين واتباع بالسلف الصالحين أو هذا مذهب المجسمين، وماحكم من أول الصفات ونفى ما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه وتأيد بالنصوص واتفق عليه الخصوص من أن الله سبحانه فى سمائه مستو على عرشه بائن من خلقه وعلمه فى كل مكان، والدليل آيات

الاستواء والصعود والرفع وقوله تعالى (أأمنتم من فى السماء) ومن السنة حديث الجارية والنزول وعمران بن حصين وقوله صلى الله عليه وسلم « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء » وغير ذلك من الآيات المتواترة والأحاديث المتكاثرة ، وأول الآيات وجعل الاستواء استيلاء وأول النزول بالرحمة وهكذا جعل التأويل علة مطردة فى سائر نصوص الصفات ، وعاش فى ظلام العقل فى الجهل والشبهات وإذا قيل له أين الله أجاب بأنه لا يقال أين الله ، الله لم يكن له مكان كما هو جواب فريق المضلين فهل هذا جواب الجهميين والمريسيين وأضلاء المتكلمين أم اختيار علماء السنيين ؟أفيدونا بجواب رجاء الثواب يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فان هذا المقام طال فيه النزاع وحارت فيه الأفهام وزلت الأقدام وكل يدعى الصواب بزخرف الجواب ، فأبينوا المدعى بالدليل وبينوا طريق الحق بالتفصيل والتطويل ضاعف الله لكم الأجور ووقاكم الشرور والسلام عليكم ورحمة الله .

(وأقول) اعلم أن الكلام فى الآيات والأحاديث الواردة فى الصفات قد طالت ذيوله وتشعبت أطرافه وتناسبت فيه المذاهب وتفاوتت فيه الطرائق وتخالفت فيه النحل : وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين إلى العلم حيث أوقفهم الله ، ودخولهم فى أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه حتى تفرقوا فرقاً وتشعبوا شعباً وصاروا أحزاباً ، وكانوا فى البداية ومحاولة الوصول إلى

ما يتصورونه من العامة مختلفى المقاصد متباينى المطالب : فطائفة وهى أخف هذه الطوائف المتكلفة علم ما لم يكلفها الله سبحانه بعلمه إثماً وأقلها عقوبة وجرماً وهى التى أرادت الوصول إلى الحق والوقوف على الصواب لكن سلكت فى طريقة طريقاً متوعرة وصعدت فى الكشف عنه إلى عقبة كئود لا يرجع من سلكها سالماً فضلا أن يظفر فيها بمطلوب صحيح، ومع هذا أصلوا أصولا ظنوها حقاً فدفعوا بها آيات قرآنية وأحاديث صحيحة نبوية واعتلوا فى ذلك الدفع بشبه واهية وخيالات مختلة. موهؤلاء هم طائفتان .الطائفة الأولى هى الطائفة التى غلت فى التنزيه فوصلت إلى حد يقشعر عنده الجلد ويضطرب له القلب من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتاً أوضح من شمس النهار وأظهر من فلق الصباح ، وظنوا هذا من صنيعهم موافقاً للحق مطابقاً لما يريده الله سبحانه فضلوا الطريق المستقيم وأضلوا من رام سلوكها ، والطائفة الأخرى هى التى غلت فى إثبات القدرة غلواً بلغ إلى حد أنه لا تأثير لغيرها ولا اعتبار بما سواها وأفضى ذلك إلى الجبر المحض والقسر الخالص فلم يبق لبعث الرسل وإنزال الكتب كثير فائدة ولا يعود ذلك على عباده بعائد . وجاءوا بتأويلات للآيات البينات ومحاولات لحجج الله الواضحات فكانوا كالطائفة الأولى فى الضلال والإضلال ؛مع أن كلا المقصدين صحيح ووجه كل منهما صبيح لولا ما شانه من الغلو القبيح .وطائفة توسطت ورامت الجمع بين الضب والنون وظنت أنها وقفت بمكان بين الإفراط

والتفريط . ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق فى زعمها وتجول على الأخرى وتصول بما ظفرت مما يوافق ما ذهبت إليه و(كل حزب بما لديهم فرحون) وعند الله تلتقى الخصوم * ومع هذا * فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف أسلم ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلف أن تمنى محققوهم وأذكياؤهم فى آخر أمرهم دين العجائز وقالوا هنيئاً للعامة ، فتدبر هذه الأعلمية التى حاصلها أن يهنى من ظفر بها للجاهل لأهل الجهل البسيط ويتمنى أنه فى عدادهم وممن يدين بدينهم ويمشى على طريقهم فان هذا ينادى بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التى طلبوها الجهل خير منها بكثير ، فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه أن الجهل خير منه وينتهى عند البلوغ إلى غايته والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلا عاطلا عنه . ففى هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين فهلا عملوا على جهل هذه المعارف التى دخلوا فيها بادئ بدء وسلموا من تبعاتها وأراحوا أنفسهم من تعبها وقالوا كما قال القائل

أرى الأمر يفضى إلى آخر * * يصير آخره أولا

وربحوا الخلوص من هذا التمنى والسلامة من هذه التهنئة للعامة فان العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها ولا يهنى لمن هو دونه أو مثله ولا يكون ذلك إلا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه فيالله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه وأفضل مقدارا

بالنسبة إليه وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها، وإذا كان حال هذه الطائفة التى قد عرفناك أخف هذه الطوائف تكلفاً وأقلها تبعة فما ظنك بما عداها من الطوائف التى قد ظهر فساد مقاصدها وتبين بطلان مواردها ومصادرها كالطوائف التى أرادت بالمظاهر التى تظاهرت به كبار الإسلام وأهله والسعى إلى التشكيك فيه بايراد الشبه وتقرير الأمور المفضية إلى القدح فى الدين وتنفير أهله عنه وعند هذا تعلم أن :

خير الأمور السالفات على الهدى * * وشر الأمور المحدثات البدائع

وإن الحق الذى لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم وقد كانوا رحمهم الله وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم يمرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم مالا يعلموا ولا يتأولون ، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل وإن نزغ بينهم نازغ أو نجم فى عصرهم ناجم أوضحوا للناس أمره وبينوا لهم أنه على ضلالة وصرحوا بذلك فى الجامع والمحافل وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما ظهر معبد الجهنى وأصحابه وقالوا إن الأمر أنف وبينوا ضلالته وبطلان مقالته للناس فحذروه إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة، وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها كما فعله التابعون رحمهم الله بالجعد بن درهم ومن قال بقوله وانتحل نحلته الباطلة ثم

ما زالوا هكذا لا يستطيع المبتدع فى الصفات أن يتظاهر ببدعته بل يكتمونها كما تتكتم الزنادقة بكفرهم وهكذا سائر المبتدعين فى الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة ولكنا نقتصر ههنا على الكلام فى هذه المسألة التى ورد السؤال عنها، وهى مسألة الصفات وما كان من المتكلمين فيها بغير الحق المتكلف علم مالم يأذن الله بأن يعلموه وبيان أن إمرار أدلة الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وإن كل من أراد من نزاع المتكلفين وشذاذ المحدثين والمتأولين أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر قاموا عليه وحذروا الناس منه وبينوا لهم أنه على خلاف ما عليه أهل الإسلام، وسائر المبتدعين فى الصفات القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الأعظم من الصحابة والتابعين وتابعيهم فى خبايا وزوايا لا يتصل بهم إلا مغرور ولا ينخدع بزخارف أقوالهم إلا مخدوع، وهم مع ذلك على تخوف من أهل الإسلام وترقب لنزول مكروه بهم من حماة الدين من العلماء الهادين والرؤساء والسلاطين حتى نجم ناجم المحنة وبرق بارق الشر من جهة العباسية ومن لهم فى الأمر والنهى والإصدار والإيراد أعظم صولة وذلك فى الدولة بسبب قاضيها أحمد بن أبى دؤاد فعند ذلك أطلع المنكسون فى تلك الزوايا رؤوسهم وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم وأعلنوا بمذاهبهم الزائفة وبدعهم المضلة ودعوا الناس إليها وجادلوا عنها وناضلوا المخالفين لها حتى اختلط المعروف بالمنكر واشتبه على العامة الحق

بالباطل والسنة بالبدعة ، ولما كان الله سبحانه قد تكفل باظهار دينه على الدين كله وبحفظه من التحريف والتغيير والتبديل أوجد من علماء الكتاب والسنة فى كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم وينكر على أهل البدع بدعهم فكان لهم ولله الحمد المقامات المحمودة والمواقف المشهودة فى نصر الدين وهتك المتبدعين .

وبهذا الكلام القليل الذى ذكرنا تعرف أن مذاهب السلف من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشىء منها ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضى إليه كثير من التأويل. وكانوا إذا سأل سائل عن شىء من الصفات تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القال والقيل وقالوا قال الله هكذا ولا ندرى بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته فان أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ونهوه عن طلب مالا يمكن الوصول إليه إلا بالوقوع فى بدعة من البدع التى هى غير ما هم عليه وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين .

وكان فى هذه القرون الفاضلة الكلمة فى الصفات متحدة والطريقة لهم جميعاً متفقة . وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به وكلفهم القيام بفرائضه من الإيمان بالله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة .

والصيام . والحج . والجهاد . وإنفاق الأموال فى أنواع البر . وطلب العلم النافع . وإرشاد الناس إلى الخير على اختلاف أنواعه . والمحافظة على موجبات الفوز . بالجنة والنجاة من النار : والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة وبما تبلغ اليدالقدرة ، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته فكان الدين إذ ذاك صافياً عن كدر البدع خالصاً عن شوب قذر التمذهب فعلى هذا النمط كان الصحابة رضى الله عنهم والتابعون وتابعوهم . وبهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتدوا وبأفعاله وأقواله اقتدوا فمن قال إنهم تلبسوا بشىء من هذه المذاهب الناشئة فى الصفات أو فى غيرها فقد أعظم عليهم الفرية وليس بمقبول فى ذلك فان أقوال الأئمة المطلعين على أحوالهم العارفين بها الآخذين لها عن الثقاة الأثبات يرد عليه ويدفع فى وجهه ، يعلم ذلك كل من له علم ويعرفه كل عارف فاشدد بذلك على هذا واعلم أنه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ودع عنك ما حدث من تلك التمذهبات فى الصفات وأرح نفسك من تلك العبارات التى جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها وجعلوها أصلا يرد كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان وافقاها فقدوافقا الأصول المتقررة فى زعمهم وإن خالفاها فقد خالفا الأصول المتقررة فى زعمهم ، ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم ، والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه ولو جئت بألف آية واضحة

الدلالة ظاهرة المعنى أو ألف حديث مما ثبت فى الصحيح لم يبالوا به ولا رفعوا إليه رءوسهم ولا عدوه شيئاً ، ومن كان منكراً لهذا فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة فى علم الكلام فانه سيقف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها .

ومن العجب العجيب والنبأ الغريب أن تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام التى جعلها من بعدهم أصولا لا مستند لها إلا مجرد الدعوى على العقل والفرية على الفطرة وكل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم وتخالفت عنده إدراكاتهم : فهذا يقول حكم العقل فى هذا الكلام كذا . وهذا يقول حكم العقل فى هذا كذا ثم يأتى بعدهم من يجعل ذلك الذى يعقله من تقلده ويقتدى به أصلا يرجع إليه ومعياراً لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم يقبل منهما ما وافقه ويرد ما خالفه فيالله وللمسلمين ويا لعلماء الدين من هذه الفواقر الموحشة التى لم يصب الإسلام وأهله بمثلها .

وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع أنهم بعد أن جعلوا هذه التعقلات التى تعقلوها على اختلافهم فيها وتناقضهم فى معقولاتها أصولا ترد إليها أدلة الكتاب والسنة جعلوها معياراً لصفات الرب تعالى فما تعقله هذا من صفات الله قال به جزماً وما تعقله خصمه منها قطع به فأثبتوا لله تعالى الشيء ونقيضه استدلالا بما حكمت به عقولهم الفاسدة وتناقضت فى شأنه ولم يلتفتوا إلى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم . بل إن وجدوا ذلك موافقاً لما

تعقلوه جعلوه مؤيداً له ومقوياً وقالوا قد ورد دليل السمع مطابقاً لدليل العقل، وإن وجدوه مخالفاً لما تعقلوه وجعلوه وارداً على خلاف الأصل ومتشابها وغير معقول المعنى ولا ظاهر الدلالة ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم فافترى على عقله بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه وجعل ذلك أصلا يرد إليه أدلة الكتاب والسنة وجعل المتشابه عند أولئك محكما عنده والمخالف لدليل العقل عندهم موافقاً له عنده ، فكان حاصل كلام هؤلاء أنهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه وكفاك هذا وليس بعده شيء وعنده يتعثر القلم حياء من الله سبحانه وتعالى وربما استبعد هذا مستبعد واستنكره مستنكر وقال إن في كلامي هذا مبالغة وتهويلا وتشنيعاً وتطويلا وإن الأمر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت إليها .

فأقول خذ جملة البلوى ودع تفصيلها واسمع ما يصلك سمعك ولولا هذا الإلحاح منك ما سمعته ولا جرى القلم بمثله. هذا أبو علي وهو رأس من رءوسهم وركن من أركانهم واسطوانة من اسطواناتهم قد حكى عنه الكبار وآخر من حكى عنه ذلك صاحب شرح القلائد (والله لا يعلم من نفسه إلا ما يعلم هو) فخذ هذا التصريح حيث لم تكتف بذلك التلويح وانظر هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى التي ليس بعدها جرأة فيالأم أبي على الويل أينهق مثل هذا النهيق ويدخل نفسه في هذا المضيق وهل سمع السامعون بيمين أفجر من هذه اليمين

الملعونة أو نقل الناقلون كلمة تقارب معنى هذه الكلمة المفتونة أو بلغ مفتخر إلى ما بلغ هذا المختال الفخور أو وصل من يفجر فى أيمانه إلى ما تقارب هذا الفجور .وكل عاقل يعلم أن أحدنا لو حلف أن ابنه أو أباه لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمه هو لكان كاذباً فى يمينه فاجراً فيها لأن كل فرد من الناس ينطوى على صفات وغرائز لا يحب أن يطلع عليها غيره ويكره أن يقف على شيء منها سواه ومن ذا الذى يدرى بما يجول فى خاطر غيره ويستكن فى ضميره ومن ادعى علم ذلك وإنه يعلم من غيره من بنى آدم ما يعلمه ذلك الغير من نفسه ولا يعلم ذلك الغير من نفسه إلا ما يعلمه هذا المدعى فهو إما مصاب العقل يهذى بما لا يدرى ويتكلم بما لا يفهم أو كاذب شديد الكذب عظيم الافتراء فان هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه فهو الذى يحول بين المرء وقلبه وما توسوس به نفسه وما يسر عباده وما يعلنون وما يظهرون وما يكتمون ، كما أخبرنا بذلك فى كتابه العزيز فى غير موضع فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما يعلمه إلا الله من عباده فما ظنك من جاوز هذا وتعداه وأقسم بالله سبحانه إن الله لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمه هو ، ولا يصح لنا أن نحمله على اختلال العقل فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً يقتدى بقوله جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده وينقلون كلامه فى الدفاتر ويحكمون عنه فى مقامات الاختلاف ولعل اتباع هذا ومن يقتدى بمذهبه لو قال لهم قائل وأورد عليهم مورد قول الله عز وجل (ولا يحيطون به علماً)

وقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وقال لهم هذا يرد ما قال صاحبكم ويدل على أن يمينه هذه فاجرة مفتراة لقالوا هذا ونحوه مما يدل دلالته ويفيد مفاده من المتشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالأصول المقررة .

وبالجملة فاطالة ذيول الكلام فى مثل هذا المقام إضاعة للأوقات واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات وليس مقصودنا ههنا إلا إرشاد السائل إلى أن المذهب الحق فى الصفات هو إمرارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تكلف ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل وإن ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم .

(فان قلت) وماذا تريد بالتعطيل فى مثل هذه العبارات التى تكررها فان أهل المذاهب الإسلامية يتنزهون عن ذلك ويتحاشون عنه ولا يصدق معناه ولا يوجد مدلوله إلا فى طائفة من طوائف الكفار وهم المنكرون للصانع * (قلت) يا هذا إن كنت ممن له إلمام بعلم الكلام الذى اصطلح عليه طوائف من أهل الإسلام فانه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم ويذكرونه فى مؤلفاتهم ويحكونه عن أكابرهم إن اللهسبحانه وتعالى وتنزه وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه فأنشدك الله أى عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة فى النفى وأى مبالغة فى الدلالة على هذا النفى تقوم

مقام هذه المبالغة فكان هؤلاء فى فرارهم من شبهة التشبيه إلى هذا التعطيل كما قال القائل :

فكنت كالساعى إلى مثعب ** موائلا من سبله الراعد

أو * كالمستجير من الرمضاء بالنار * والهارب من لسعة الزنبور إلى لدغة الحية ،ومن قرصة النملة إلى قضمة الأسد .

وقد يغنى هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه وأنزلهما على رسوله وهما (ولا يحيطون به علماً) * (وليس كمثله شيء) فان هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب وتضمنتا بما يعين أولى الألباب السالكين فى تلك الشعاب فالكلمة منها دلت دلالة بينة على أن كل ما تكلم به البشر فى ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوى التحقيق فهومشوب بشعبة من شعب الجهل مخلوط بخلوط هى منافية للعلم ومباينة له فان الله سبحانه قد أخبرنا أنهم لا يحيطون به علماً فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك أن صحة ذلك متوقفة على الإحاطة وقد نفيت عن كل فرد من الأفراد علماً فكل قول من أقوال المتكلمين صادر عن جهل إما من كل وجه أو من بعض الوجوه وما صدر عن جهل فهو مضاف إلى جهل ولا سيما إذا كان فى ذات الله وصفاته فان ذلك من المخاطرة فى الدين ما لم يكن فى غيره من المسائل وهذا يعلمه كل ذى علم ويعرفه كل عارف ولم يحط بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمراتها إلا الممرون الصفات على ظاهرها المريحون

أنفسهم من التكلفات والتعسفات والتأويلات والتحريفات وهم السلف الصالح كما عرفت فهم الذين اعترفوا بالإحاطة وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله وقال: الله أعلم بكيفية ذاته وماهية صفاته بل العلم كله له وقالوا كما قال من قال ممن اشتغل بطلب هذا المحال فلم يظفر بغير القيل والقال .

العلم للرحمن جل جــلاله ** وسواه فى جهلاته يتغمغم

ما للتراب وللعلــوم وإنمـا ** يسعى ليعلم أنه لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلفين بأنه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح إلا مجرد الحيرة التى وجد عليها غيره من المتكلفين فقال :

وسرحت طــرفى بين تلك المعالم ** فلم أر إلا واضعاً كف حائر

على ذقن أو قارعاً سن نادم

وهأنذا أخبرك عن نفسى وأوضح لك ما وقعت فيه فى أمسى فانى فى أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذى سموه تارة علم الكلام وتارة علم التوحيد وتارة علم أصول الدين وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ورمت الرجوع بفائدة والعود بعائدة فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة وكان ذلك من الأسباب التى حببت إلى مذهب السلف على أنى كنت قبل ذلك عليه ولكن أردت أن أزداد منه بصيرة وبه شغفاً وقلت عند ذلك فى تلك المذاهب :

وغاية ما حصلته من مباحثى ... ومن نظرى من بعدطول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة ... فما علم من لم يلق غير التحير
على أننى قد خضت منه غماره ... وما قنعت نفسى بغير التبحر

(وأما الكلمة) وهى (ليس كمثله شيء)فيها يستفاد نفى المماثلة فى كل شيء فيدفع بهذه الآية فى وجه المجسمة وتعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع البصير وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة فتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات فيدفع به جانبى الافراط والتفريط وهما المبالغة فى الإثبات المفضية إلى التجسيم والمبالغة فى النفى المفضية إلى التعطيل فيخرج من بين الجانبين وغلو الطرفين حقية مذهب السلف الصالح وهو قولهم باثبات ما أثبله لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه إلا هو فانه القائل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

(ومن جملة الصفات) التى أمرها السلف على ظاهرها وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء التى ذكرها السائل ، يقولون : نحن نثبت ما أثبته الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها إلا هو وكيفية لا يدرى بها سواه ولا نكلف أنفسنا غير هذا فليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا تحيط عباده به علماً ، وهكذا يقولون فى مسألة الجهة التى ذكرها

السائل وأشار إلى بعض ما فيه دليل عليها والأدلة فى ذلك طويلة كثيرة فى الكتاب والسنة * وقد جمع أهل العلم منها لا سيما أهل الحديث مباحث طولوها بذكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط فى مجلد جمعه مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي رحمه الله استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب (١)

والمسألة أوضح من أن تلتبس على عارف وأبين من أن يحتاج فيها إلى التطويل ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الاسلامية كثر الكلام فيها وفى مسألة الاستواء وطال سيما بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب فلهم فى ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى وما زالوا هكذا فى عصر بعد عصر والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح فالاستواء على العرش والكون فى تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم فى مواطن يكثر حصرها ويطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير حديث بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد الناس فى نفسه ، وتحسه فى فطرته وتجذبه إليه طبيعته كما تراه فى كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى والتجأ إليه ووجه أدعيته إلى جنابه الرفيع وعزه المنيع فانه يشير عند ذلك بكفه أو يرمى إلى السماء بطرفه

(١) هنا بياض فى الأصل ولعله هكذا أو قول صاحب مذهب

ويستوى فى ذلك عند عروض أسباب الدعاء وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات الازعاج وظهور دواعى الالتجاء عالم الناس وجاهلهم والماشى على طريقة السلف والمقتدى بأهل التأويل القائلين بأن الاستواء هو الاستيلاء كما قال جمهور المتأولين والأقيال كما قاله أحمد بن يحيى ثعلب والزجاج والفراء وغيرهم، أو كناية عن الملك والسلطان كما قاله آخرون فالسلامة والنجاة فى إمرار ذلك على الظاهر والاذعان بأن الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ولا قصور فى شيء من المقال، فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف فى طريق النجاة ولا معتصم عن الخطأ ولا سالك فى طريق السلامة والاستقامة، وكما نقول هكذا فى الاستواء والكون فى تلك الجهة فكذا نقول فى مثل قوله سبحانه (وهو معكم أينما كنتم) وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) وفى نحو (إن الله مع الصابرين) * (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) إلى ما يشابه ذلك ويماثله ويقاربه ويضارعه فنقول فى مثل هذه الآيات هكذا جاء القرآن إن الله سبحانه مع هؤلاء ولا نتكلف تأويل ذلك كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا الكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته فان هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف وتباين ما كان عليه

الصحابة والتابعون وتابعوهم وإذا انتهيت إلى السلامة فى مداك فلا تجاوزه .

وهذا الحق ليس به خفاء فدعنى من ثنيـــات الطريق

وقد هلك المتنطعون ولا يهلك على الله إلا هالك ،وعلى نفسها براقش تجنى ،وفى هذه الجملة وان كانت قليلة ما يغنى من شح بدينه وتحرص عليه عن تطويل المقال وتكثير ذيوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله والهداية من الله والله أعلم * انتهت الرسالة المفيدة كما وجدت * ولله الحمد أولا وآخراً وظاهراً وباطناً وأصلى وأسلم على محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين .

تمت

رسائل السلفية

عقيدة السلف أصحاب الحديث

للامام أبي عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني

بسم الله الرحمن الرحيم

سند الكتاب إلى مولفه

أخبرنا قاضي القضاة بدمشق نظام الدين عمر بن إبراهيم ابن محمد بن مفلح الصالحي الحنبلي إجازة مشافهة ، أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسي إجازة إن لم يكن سماعاً ، أخبرنا الشيخان جمال الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن عمر بن شكر ، وأبو عبد الله محمد بن المحب عبد الله بن أحمد ابن محمد المقدسيين قال الأول : أخبرنا إسماعيل بن أحمد بن الحسين بن محمد العراقي سماعاً ، أخبرنا أبو الفتح عبد الله بن أحمد الخرقي إجازة ، وقال الثاني : أخبرنا أحمد بن عبد الدائم رحمه الله وأخبرنا المحدث تاج الدين محمد بن الحافظ عماد الدين إسماعيل بن محمد بن بردس البعلي في كتابه ، أخبرنا أحمد بن عبد الدائم إجازة إن لم يكن سماعاً ، أخبرنا الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي ابن سرور المقدسي ، أخبرنا الخرقي سماعاً ، أخبرنا أبو بكر عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني ، حدثنا والدي شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن فذكره .

(وأخبرنا) قاضي القضاة عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات الحنفي إجازة مشافهة ، أخبرنا محمود بن خليفة بن محمد بن

خلف المنبجى إجازة ، أخبرنا الجمال عبد الرحمن بن أحمد بن عمر بن شكر بنصه قال :

سبب تأليف الرسالة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام .

(أما بعد) فانى لما وردت آمد طبرستان ، وبلاد جيلان متوجهاً إلى بيت الله الحرام ، وزيارة مسجد(١) نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام ، سألنى إخوانى فى الدين أن أجمع لهم فصولا فى أصول الدين ، التى استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين ، وعلماء المسلمين والسلف الصالحين ، وهدوا ودعوا الناس إليها فى كل حين ، ونهوا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين ، ووالوا فى اتباعها ، وعادوا فيها ، وبدعوا وكفروا من اعتقد غيرها ، وأحرزوا لأنفسهم ولمن دعوهم إليها بركتها وخيرها ، وأفضوا إلى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها ، واستمساكهم بها ، وإرشاد العباد إليها ، وحملهم إياهم عليها ، فاستخرت الله تعالى وأثبت فى هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار ، رجاء أن ينتفع به أولو الألباب والأبصار ، والله سبحانه يحقق الظن ،

---

(١) فى الأصل : « قبر » وهو خطأ ، لأن المشروع السفر بقصد زيارة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم لا قبره ، لأنه ثبت عنه عليه السلام أنه قال : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » رواه الشيخان وغيرهما ، هذا مع العلم أن قبره عليه السلام الآن فى مسجده ، ولا مانع لمن يزور مسجده (ص) من زيارة قبره تبعاً لذلك . « المعلق » .

ويجزل علينا المن بالتوفيق والاستقامة على سبيل الرشد والحق بمنه وفضله .

قلت وبالله التوفيق .

عقيدة أصحاب الحديث

أصحاب الحديث ، حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم ، يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التى نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويثبتون لله جل جلاله ما أثبت لنفسه فى كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون : إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه فى قوله ـ عز من قائل ـ : **(يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى)** (٢) ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين ، أو القوتين ، تحريف المعتزلة الجهمية ، أهلكهم الله ، ولا يكيفونهما بكيف أو تشبيههما بأيدى المخلوقين ، تشبيه المشبه ، خذلهم الله ، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف ، ومن عليهم بالتعريف والتفهيم ، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه ، واتبعوا قول الله عز وجل : **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** (٣)(٤) .

(١) سورة ص ٧٥ . (٢) الشورى : ١١ . (٣و٤) آل عمران : ٧ .

قولهم فى الصفات

وكذلك يقولون فى جميع الصفات التى نزل بذكرها القرآن ، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة ، والعزة والعظمة والإرادة ، والمشيئة والقول والكلام ، والرضا والسخط والحياة ، واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين ، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى ، وقاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ، ولا تكييف له ولا تشبيه ، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب ، وتضعه عليه بتأويل منكر ، ويجرونه على الظاهر ، ويكلون علمه إلى الله تعالى ، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله ، كما أخبر الله عن الراسخين فى العلم أنهم يقولونه فى قوله تعالى : (والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به ، كل من عند ربنا . وما يذكر إلا أولو الألباب) .

القرآن كلام الله غير مخلوق

ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ، ووحيه وتنزيله غير مخلوق ، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم ، والقرآن الذى هو كلام الله ووحيه هو الذى ينزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآناً عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً ، كما قال عز من قائل : (**وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى**

مبين) (١) وهو الذى بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم أمته ، كما أمر به فى قوله تعالى : **(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)**(٢) فكان الذى بلغهم بأمر الله تعالى كلامه عز وجل ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « أتمنعونى أن أبلغ كلام ربى » (٣) وهو الذى تحفظه الصدور ، وتتلوه الألسنة ، ويكتب فى المصاحف ، كيف ما تصرف بقراءة قارئ ، ولفظ لافظ ، وحفظ حافظ ، وحيث تلى ، وفى أى موضع قرئ وكتب فى مصاحف أهل الإسلام ، وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله ، غير مخلوق فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم .

سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول سمعت أبا الوليد حسان ابن محمد يقول سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحق بن خزيمة يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فمن قال : « إن القرآن مخلوق » فهو كافر بالله العظيم ، لا تقبل شهادته ، ولا يعاد إن مرض ، ولا يصلى عليه إن مات ، ولا يدفن فى مقابر المسلمين ، ويستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه (٤) .

فأما اللفظ بالقرآن فان الشيخ أبا بكر الإسماعيلى الجرجانى ذكر فى رسالته التى صنفها لأهل جيلان أن من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن .

---

(١) الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥ (٢) المائدة : ٧٠

(٣) صحيح ، رواه الدارمى وأبو داود ، قلت : ولفظه عند الأخير (٤٧٣٤): « ألارجل يحملنى إلى قومه فان قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى » (المعلق) .

(٤) راجع مسألة التكفير فى شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٥ ط المكتب الإسلامى .

وذكر ابن مهدى الطبرى فى كتابه الاعتقاد الذى صنفه لأهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله سبحانه ، ووحيه وتنزيله ، وأمره ونهيه غير مخلوق ، ومن قال : مخلوق فهو كافر بالله العظيم ، وأن القرآن فى صدورنا محفوظ ، وبألسنتنا مقروء ، وفى مصاحفنا مكتوب ، وهو الكلام الذى تكلم الله عز وجل به ، ومن قال : إن القرآن بلفظى مخلوق ، أو لفظى به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم . وإنما ذكرت هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدى لاستحسانى ذلك منه ، فانه اتبع السلف أصحاب الحديث فيما ذكره مع تبحره فى الكلام ، وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدمه وتبرزه عند أهله اهـ .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : قرأت بخط عمرو المستملى سمعت أبا عثمان سعيد بن أشكاب يقول : سألت إسحق ابن إبراهيم(١) عن اللفظ بالقرآن فقال : « لا ينبغى أن يناظر فى هذا ، القرآن كلام الله غير مخلوق » .

وذكر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله فى كتابه (الاعتقاد) الذى صنفه فى هذه ، وقال : « أما القول فى ألفاظ العباد فى القرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابى ، ولا تابعى إلا عمن فى قوله الغنى والشفاء ، وفى اتباعه الرشد والهدى ، ومن يقوم قوله مقام الأئمة الأولى أبى عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله ، فان أبا إسماعيل

---

(١) هو الإمام الثقة الحافظ المجتهد إسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلى أبو محمد المروزى ، المشهور بابن راهويه ، قرين الإمام أحمد بن حنبل ، روى له أصحاب الكتب الستة ما عدا ابن ماجة ، ولد سنة ١٦١ ، وتوفى سنة ٢٣٨ هـ (المعلق) .

الترمذى حدثنى قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله يقول : « اللفظية جهمية » . قال الله تعالى (**فأجره حتى يسمع كلام الله**) (١) ممن يسمع ؟

قال : سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه رضى الله عنه أنه كان يقول : « من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى : ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع » .

قال محمد بن جرير : « ولا قول فى ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه ، وفيه الكفاية والمقنع ، وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه » . هذه ألفاظ محمد بن جرير التى نقلتها نفسها إلى ما هاهنا من كتاب الاعتقاد الذى صنفه .

قلت : وهو – أعنى محمد بن جرير – قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذى ذكره فى كتابه كل ما نسب إليه ، وقذف به من عدول عن سبيل السنة ، أو ميل إلى شىء من البدعة ، والذى حكاه عن أحمد رضى الله عنه وأرضاه أن اللفظية جهمية فصحيح عنه ، وإنما قال ذلك لأن جهماً وأصحابه صرحوا بخلق القرآن ، والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن ، وخافوا أهل السنة فى ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن ، فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق ، فلذلك سماهم أحمد رحمه الله جهمية . وحكى عنه أيضاً أنه قال : « اللفظية شر من الجهمية » .

---

(١) التوبـة : ٦

وأما ما حكاه محمد بن جرير عن أحمد رحمه الله أن من قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع ، فانما أراد أن السلف من أهل السنة لم يتكلموا فى باب اللفظ من أهل التعمق وذوى الحمق الذين أتوا بالمحدثات ، وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات ، وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام ، فقال الإمام أحمد: هذاالقول فى نفسه بدعة ، ومن حق المتدين أن يدعه ،ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على ماقاله السلف من الأئمة المتبعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه .

أخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ ، حدثنا أبو بكر محمدبن عبد الله الجراجى بمرور، حدثنا يحيي بن سالوكه عن أبيه عبدالكريم السندى قال : قال وهب بن زمعة : أخبرنى الباسانى قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : « من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن ، ومن قال : لا أومن بهذا الكلام فقد كفر » .

استواء الله على عرشه

ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به قوله عز وجل (**إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ،يدبر الأمر ، ما من شفيع إلا من بعد إذنه**)(١) وقوله فى

(١) سورة يونس : ٣

سورة الرعد : (**الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش**) وقوله فى سورة الفرقان (**ثم استوى على العرش الرحمن ، فاسأل به خبيرا**) وقوله فى سورة السجدة (**ثم استوى على العرش**) وقوله فى سورةطه : (**الرحمن على العرش استوى**) يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى ، ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله فى خبره ، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش ، ويمرونه على ظاهره ويكلون علمه إلى الله ، ويقولون : (**آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب**) (١) كما أخبر الله تعالى عن الراسخين فى العلم أنهم يقولون ذلك ، ورضيه ، فأثنى عليهم به .

أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد بن يحيي المعلى حدثنى محمد بن داود بن سليمان الزاهد أخبرنى على بن محمد ابن عبيدأبو الحسن الحافظ من أصله العتيق حدثنا أبو يحي بن بشر الوراق حدثنا محمد بن الأشرس الوراق أبو كنانة حدثنا أبو المغيرة الحنفى حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة فى قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) قالت : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والاقرار به إيمان ، والجحود به كفر .

وحدثنا أبو الحسن بن اسحق المدنى حدثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعى حدثنا شاذان حدثنا ابن مخلد بن يزيد القهستانى

---

(١) آل عمران : ٧ .

حدثنا جعفر بن ميمون قال سئل مالك بن أنس عن قوله : (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ قال : (الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالا) وأمر به أن يخرج من مجلسه .

أخبرنا أبو محمد المخلدى العدل حدثنا أبو بكر عبدالله ابن محمد ابن مسلم الاسفراييني حدثنا أبو الحسين على بن الحسن حدثنا سلمة ابن شبيب حدثنا مهدى بن جعفر بن ميمون الرملى عن جعفر ابن عبداللهقال : جاء رجل إلى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله : (**الرحمن على العرش استوى**) قال : فما رأيته وجد (١) من شيء كوجده من مقالته ، وعلاه الرحضاء (٢) ، وأطرق القوم ، فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه ، ثم سرى عن مالك فقال: «الكيف غير معلوم ، والاستواء غير مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وإني لأخاف أن تكون ضالا » ثم أمر به فأخرج .

أخبرنا به جدى أبو حامد أحمد بن اسماعيل عن جد والدى الشهيد ، وأبو عبدالله محمد بن عدى بن حمدويه الصابونى حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون النسوى حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدى بن جعفر الرملى حدثنا جعفر بن عبدالله قال : جاء رجل لمالك بن أنس فقال : يا أبا عبدالله ؟ (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ قال: فما رأيت مالكاً وجد من شيء كوجده من مقالته ، وذكر بنحوه .

---

(١) أى غضب . (٢) هو العرق .

وسئل أبو على الحسين بن الفضل البجلى عن الاستواء ، وقيل له كيف : استوى على عرشه ، فقال : أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا ، وقد أعلمنا جل ذكره أنه استوى على عرشه ، ولم يخبرنا كيف استوى .

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود الزاهد ، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن السامى ، حدثنى عبد الله ابن أحمد بن شبويه المروزى ، سمعت على بن الحسين بن شقيق يقول : « سمعت عبد الله بن المبارك يقول : «نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائناً منه خلقه ، ولا نقول كما قالت الجهمية إنه ها هنا » وأشار إلى الأرض .

وسمعت الحاكم أبا عبدالله فى كتابه (التاريخ) الذى جمعه لأهل نيسابور ، وفى كتابه (معرفة الحديث) اللذين جمعهما ولم يسبق إلى مثلهما يقول : سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانىء يقول : سمعت أبا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة يقول : من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه ، فوق سبع سمواته ، فهو كافر بربه ، حلال الدم ، يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه ، وألقى على بعض المزابل حتى لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته ، وكان ماله فيئا لا يرثه أحد من المسلمين ، إذ المسلم لا يرث الكافر ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » رواه البخارى .

عقيدتهم بنزول الرب سبحانه

ومجيئه

ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينتهون فيه إليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلون علمه إلى الله (١) .

وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز وجل فى كتابه ، من ذكر المجيء والاتيان المذكورين فى قوله عز وجل : **(هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة)** (٢) وقوله عز اسمه : **(وجاء ربك والملك صفاً صفا)** (٣) . وقرأت فى رسالة الشيخ أبى بكر الإسماعيلى إلى أهل جيلان أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله عز وجل : **(هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى من ظلل الغمام)** وقال : **(وجاء ربك والملك صفاً صفا)** ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف ، فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل ، فانتهينا إلى ما أحكمه ، وكففنا عن الذى يتشابه إذ كنا قد أمرنا به

---

(١) قلت : لقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً فى شرح حديث النزول وبسط فيه القول باسهاب فانصح بمراجعته والنظر إليه . وقد طبعه المكتب الإسلامى بدمشق .

(٢) البقرة : ٢١٠ (٣) الفجر : ٢٢ .

في قوله عز وجل : (**هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب**) (١) .

أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيبانى سمعت : أبا حامد بن الشرقى يقول : سمعت أحمد السلمى وأبا داود الخفاجى يقولان : سمعنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى (٢) يقول : قال لى الأمير عبد الله ابن طاهر : يا أبا يعقوب هذا الحديث الذى ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا » كيف ينزل؟ قال ، قلت : أعز الله الأمير ، لا يقال لأمر الرب كيف ؟ إنما ينزل بلا كيف .

حدثنا أبو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم العدل ، حدثنا محبوب ابن عبد الرحمن القاضى ، حدثنى أبو بكر بن أحمد بن محبوب ، حدثنا أحمد بن حمويه حدثنا أبو عبد الرحمن العباسى ، حدثنا محمد ابن سلام ، سألت عبد الله بن المبارك (٣) عن نزول ليلة النصف من شعبان ، فقال عبدالله : يا ضعيف ليلة النصف ! ينزل فى كل

---

(١) آل عمران : ٧

(٢) هو الإمام المعروف راهوية ، ثقه حافظ مجتهد ، وقرين الإمام أحمد ابن حنبل ، توفى سنة ٢٣٨ هـ . (المعلق) .

(٣) هو الإمام الثقة الثبت الفقية العالم الجواد المجاهد ، قد جمعت فيه خصال الخير توفى سنة ١٨١ هـ . (المعلق) .

ليلة ، فقال الرجل يا أبا عبدالله ! كيف ينزل ؟ أليس يخلو ذلك المكان منه ؟ فقال عبدالله :« ينزل كيف يشاء» وفى رواية أخرى لهذه الحكاية أن عبدالله ابن المبارك قال للرجل : « إذا جاءك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصغ له » .

سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا زكريا يحيي بن محمد العنبرى يقول : سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول : سمعت أحمد ابن سعيد بن ابراهيم بن عبدالله الرباطى يقول : حضرت مجلس الأمير عبدالله بن طاهر ذات يوم وحضر اسحاق ابن ابراهيم يعنى ابن راهويه ، فسئل عن حديث النزول : أصحيح هو ؟ قال : « نعم » فقال له بعض قواد عبدالله يا أبا يعقوب أتزعم أن الله ينزل كل ليلة ؟ قال : « نعم » قال : «كيف ينزل ؟ » فقال له اسحاق : « أثبته فوق (١) حتى أصف لك النزول » فقال الرجل : « أثبته فوق » فقال : اسحاق : قال الله عز وجل : (**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**) فقال الأمير عبدالله : « يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة » فقال إسحاق : أعز الله الأمير ، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟ .

وخبر نزول الرب كل ليلة إلى سماء الدنيا خبر متفق على صحته مخرج فى الصحيحين ، من طريق مالك بن أنس عن الزهرى عن الأغر وأبى سلمة عن أبي هريرة . أخبرنا أبو على زاهر بن أحمد ، حدثنا أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الصمد ، حدثنا أبو مصعب حدثنا

---

(١) أى اعتقد أن الله فى السماء سبحانه فوق العرش .

مالك . وحدثنا أبو بكر بن زكريا حدثنا أبو حاتم على بن عبيدان ، حدثنا محمد بن يحيي قال : ومما قرأت على ابن نافع وحدثنى مطرف ابن مالك رحمه الله،وحدثنا أبو بكر بن زكريا ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن إبراهيم ابن باكوبه ، حدثنا يحيي بن محمد حدثنا يحيي ابن يحيي ، قال : قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهرى ، عن أبى عبدالله الأغر وأبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى فى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : (من يدعونى فأستجيب له ، ومن يسألنى فأعطيه ، ومن يستغفرنى فأغفر له » .

ولهذا الحديث طرق إلى أبى هريرة ، رواه الأوزاعى عن يحيي بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة رحمه الله ، ورواه يزيد بن هارون وغيره من الأئمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمه عن أبى هريرة ، ومالك عن الزهرى عن الأعرج عن أبى هريرة ، ومالك عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ، وعبيد الله ابن عمرعن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، وعبدالأعلى ابن أبى المساور وبشير بن أبى سلمان عن أبى حازم عن أبى هريرة . ورواه نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه ، وموسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيي عن عبادة ابن الصامت ، وعبدالرحمن بن كعب ابن مالك عن جابر بن عبدالله ، وعبد الله بن أبى رافع عن على ابن أبى طالب ، وشريك عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبدالله

ابن مسعود ومحمد ابن كعب بن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء وأبو الزبير عن جابر وسعيد بن جبير عن ابن عباس وعن أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضى الله عنهم .

وهذه الطرق كلها مخرجة بأسانيدها فى كتابنا الكبير المعروف بالانتصار ، وفى رواية الأوزاعى عن يحي بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى ؟ هل من داع فيستجاب له ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ حتى ينفجر الصبح » (١) وفى رواية سعيد ابن مرجانة عن أبى هريرة زيادة فى آخره وهى « ثم يبسط يديه فيقول : من يقرض غير معدوم ولا ظلوم » . وفى رواية أبى حازم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ينزل إلى سماء الدنيا فى ثلث الليل الأخير فينادى هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ فلا يبقى شىء فيه الروح إلا علم به ، إلا الثقلان الجن والإنس » قال : وذلك حين تصيح الديكة وتنهق الحمير وتنبح الكلاب . وروى هشام الدستوائى عن يحي بن أبى كثير عن هلال ابن ميمون عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهنى حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مضى ثلث الليل أو شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول : لا أسأل من عبادى غير من

---

(١) رواه مسلم .

يستغفرنى فأغفر له ؟ من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى أعطيه ؟ حتى ينفجر الصبح » .

أخبرنا أبو محمد المخلدى أخبرنا أبو العباس السراج ، حدثنا محمد بن يحي حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحق عن أبى مسلم الأغر. قال : أشهد على أبى سعيد وأبى هريرة أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد عليهما أنهما سمعا النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول هبط إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من مذنب ؟ هل من مستغفر ؟ هل من سائل ؟ هل من داع ؟ حتى تطلع الشمس» (١) .

أخبرنا أبو محمد المخلدى حدثنا أبو العباس الثقفى ، حدثنا الحسن ابن الصباح حدثنا شبابة بن ثوار عن يونس بن أبى إسحق عن أبى مسلم الأغر ، قال : أشهد على أبى سعيد وأبى هريرة أنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يمهل حتى إذا كان ثلث الليل هبط إلى هذه السماء ، ثم أمر بأبواب السماء ففتحت فقال : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأجيبه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من مضطر أكشف عنه ضره ؟ هل من مستغيث أغيثه ؟ فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر فى كل ليلة من الدنيا » . (٢)

---

(١) رواه مسلم . إلا أنه جاء فى مسلم « حتى يطلع الفجر » وليس فيه ذكر الشمس.

(٢) رواه مسلم من طرق

أخبرنا أبو محمد المخلدى أنبأنا أبو العباس يعنى الثقفى ، حدثنا مجاهدبن موسى والفضل بن سهل قالا : حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سهل عن أبي إسحاق عن الأغر أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا » ، فقال : ألا هل من مستغفر يغفر له ؟ هل من سائل يعطى سؤله ؟ ألا هل من تائب يتاب عليه ؟ » . (٢٥)

حدثنا الأستاذ أبو منصور بن حماد ، حدثنا أبو إسماعيل بن أبي الظما ببغداد حدثنا أبو منصور الرمادى ، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سهل عن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل الله تعالى فى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، فيقول : أنا الملك أنا الملك ثلاثاً . من يسألنى فأعطيه ؟ من يدعونى فأستجيب له ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر » . (٢٦) .

سمعت الأستاذ أبامنصورعلى إثر هذا الحديثالذى أملاه علينا يقول سئل أبو حنيفة عنه قال : « ينزل بلا كيف » وقال بعضهم : « ينزل نزولا يليق بالربوبية بلاكيف ، من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق ، بل بالتجلى والتملى ، لأنه جل جلاله منزه أن يكون صفاته مثل صفات الخلق ، كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

ذوات الخلق ، فمجيئه وإتيانه ونزوله على حساب ما يليق بصفاته ، من غير تشبيه وكيف .

وقال الإمام أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة فى كتاب التوحيد الذى صنفه وسمعته من حامله أبى هريرة رحمه الله تعالى.(١)

« باب ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق فى نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة من غير صفة كيفية النزول مع إثبات النزول » .

نشهد شهادة مقر بلسانه ، مصدق عليه ، متيقن بما فى هذه الأخبار من ذكر النزول من غير أن نصف الكيفية ، لأن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا ، وأعلمنا أنه ينزل ، والله عز وجل ولى نبيه صلى الله عليه وسلم بيان مابالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما فى هذه الأخبار من ذلك النزول ، غير متكلفين للنزول بصفة الكيفية إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف كيفية النزول ، أهـ

وأخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ ، حدثنا أبو محمد الصيدلانى، حدثنا على بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أحمد بن صالح المصرى ، حدثنا بن وهب ، أنبأنا مخرمة بن بكير عن أبيه رحمه الله وأخبرنا الحاكم حدثنا محمد بن يعقوب الأصم واللفظ له ، حدثنا إبراهيم ابن حنيفة ، حدثنا ابن وهب عن مخرمة ابن بكير عن أبيه قال :

---

(١) طبع هذا الكتاب فى مصر وهو جيد فى بابه

سمعت محمد بن المنكدر يزعم أنه سمع أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم تقول « نعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه إلى السماء الدنيا قالوا : وأى يوم ؟ قالت : يوم عرفة » .

وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت « ينزل الله تعالى فى النصف من شعبان إلى السماء الدنيا ليلا إلى آخر النهار من الغد . فيعتق من النار بعدد شعر معز بنى كلب ، ويكتب الحاج وينزل أرزاق السنة ، ولا يترك أحداً إلا غفر له إلا مشركاً أو قاطع رحم أو عاقاً أو مشاحناً » .(١)

أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة ، حدثنا جدى الإمام حدثنا الحسن ابن محمد الزعفرانى حدثنا إسماعيل بن علية عن هشام الدستوائى (ح) قال الإمام وحدثنا الزعفرانى عبد الله بن بكر السهمى ، حدثنا هشام الدستوائى (ح) وحدثنا الزعفرانى حدثنا يزيد يعنى ابن هارون الدستوائى (ح) وحدثنا محمد بن عبد الله بن ميمون بالإسكندرية ، حدثنا الوليد عن الأوزاعى جميعهم عن يحي بن أبى كثير ، عن عطاء بن يسار ، حدثنى رفاعة بن عرابة الجهنى (ح) قال الإمام ، وحدثنا أبو هشام بن زياد بن أيوب حدثنا مبشر ابن اسماعيل الحلى عن الأوزاعى ، حدثنا يحي بن أبى كثير حدثنى هلال بن أبى ميمونة ، عن عطاء بن يسار حدثنى رفاعة بن عرابة الجهنى قال :

---

(١) رواه الترمذى (٧٣٦ – تحفة) وإسناده ضعيف ، عن الحجاج بن أرطاة وهو مدلس وقد عنعن ، وضعفه البخارى بالانقطاع فى موضعين ، كما ضعفه الألبانى فى « ضعيف الجامع الصغير – ١٧٦١ » .

صدرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فجعلوا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يأذن لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «ما بال شق الشجرة الذى يلى النبي صلى الله عليه وسلم أبغض إليكم من الآخر ، فلا يرى من القوم إلا باكياً قال يقول أبو بكر الصديق إن الذى يستأذنك بعدها لسفيه ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه وكان إذا حلف قال : والذى نفسى بيده أشهد عند الله ما منكم من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ثم يسدد إلا سلك به فى الجنة ، ولقد وعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب ، وإنى لأرجو أن لا يدخلوها حتى يؤمنوا ومن صلح من أزواجهم وذرياتهم يساكنكم فى الجنة ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : إذا مضى شطر الليل أو قال : ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا ، ثم يقول : لا أسأل عن عبادى غيرى ، من ذا الذى يسألنى فأعطيه ؟ من ذا الذى يدعونى فأجيبه ؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ؟ حتى ينفجر الصبح » هذا لفظ حديث الوليد .

قال شيخ الإسلام : قلت : فلما صح خبر النزول عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة ، وقبلوا الخبر ، وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه ، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق ، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً ، ولعنهم لعناً كثيراً .

وقرأت لأبى عبد الله ابن أبى حفص البخارى ، وكان شيخ بخارى فى عصره بلا مدافعة ، وأبو حفص كان من كبار أصحاب محمد بن الحسن الشيبانى ، قال أبو عبدالله : — أعنى ابن أبى حفص هذا — سمعت عبد الله بن عثمان وهو عبدان شيخ مرو يقول : سمعت محمد بن الحسن الشيبانى يقول : قال حماد بن أبى حنيفة : قلنا لهؤلاء : أرأيتم قول الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) ؟ قالوا : أما الملائكة فيجيئون صفاً صفاً ، وأما الرب تعالى فانا لا ندرى ما عنى بذلك ، ولا ندرى كيفية مجيئه ، فقلت لهم : إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته ، ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه ، أرأيتم من أنكر أن الملك يجيء صفاً صفاً ما هو عندكم ؟ قالوا : كافر مكذب . قلت : فكذلك إن أنكر أن الله سبحانه لا يجيء ، فهو كافر مكذب .

قال أبو عبد الله بن أبى حفص البخارى أيضاً فى كتابه : ذكر إبراهيم عن الأشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول : إذا قال لك الجهمى : إنا لا نؤمن برب ينزل عن مكانه . فقل أنت : أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء .

رؤية المؤمنين لله فى الآخرة

وروى يزيد بن هارون فى مجلسه حديث إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حا م ، عن جرير بن عبد الله فى الرؤية ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم تنظرون إلى ربكم

كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر » (١) فقال له رجل فى مجلسه : يا أبا خالد ، ما معنى هذا الحديث ؟ فغضب وحرد ، وقال : ما أشبهك بصبيغ ، وأحوجك إلى مثل ما فعل به ! ويلك ! ومن يدرى كيف هذا ؟ ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذى جاء به الحديث ، أو يتكلم فيه بشيء من تلقاء نفسه إلا من سفه نفسه ؟ واستخف بدينه ؟ إذا سمعتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعوه ، ولا تبتدعوا فيه ، فانكم ان اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم ، وإن لم تفعلوا هلكتم .

وقصة صبيغ الذى قال يزيد بن هارون للسائل : ما أشبهك بصبيغ ، وأحوجك إلى مثل ما فعل به : هى ما رواه يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ، أن صبيغاً التميمى أتى أمير المؤمنين ، عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أخبرنى عن (الذاريات ذروا) قال : هى الرياح ، ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته . قال : فأخبرنى عن (الحاملات وقرا) قال : هى السحاب ، ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته . قال : فأخبرنى عن « المقسمات أمراً » قال : الملائكة ، ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته ، قال : فأخبرنى عن« الجاريات يسرا » قال : هى السفن ،

(١) رواه البخارى ومسلم ، ونصه : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته » .

ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته . قال : ثم أمر به فضرب مئة سوط ، ثم جعله فى بيت حتى إذا برأ دعا به ، ثم ضربه مئة سوط أخرى ، ثم حمله على قتب ، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : (أن حرم عليه مجالسة الناس) فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى الأشعرى ، فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد فى نفسه مما كان يجده شيئاً ، فكتب عمر إليه : ما إخاله إلا قد صدق ، خل بينه وبين مجالسة الناس . (١) .

وروى حماد بن زيد عن قطن بن كعب : سمعت رجلا من بنى عجل يقال له : فلان — خلته ابن زرعة — يحدث عن أبيه قال : رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب ، يجىء إلى الحلق فكلما جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى : عزمة أمير المؤمنين (٢)

وروى حماد بن زيد أيضاً عن يزيد بن أبى حازم عن سليمان ابن يسار أن رجلا من بنى تميم يقال له صبيغ قدم المدينة ، فكانت عنده كتب فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فبلغ ذلك عمر ، فبعث إليه ، وقد أعد له عراجين النخل ، فلما دخل عليه جلس ،

---

(١) قلت : قصة صبيغ قال عنها ابن كثير فى تفسيره : « فهذا الحديث ضعيف رفعه . وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضى الله عنه وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتا وعناداً والله أعلم » .

(٢) يعنى : قاطعوه ولا تكلموه ، امتثالا لأمر أمير المؤمنين (المعلق) .

فقال : من أنت ؟ قال : أنا عبدالله صبيغ . قال : وأنا عبدالله عمر ، ثم أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين ، فما زال يضربه حتى شجه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، فقال : حسبك يا أمير المؤمنين ، فقد والله ذهب ما كنت أجد فى رأسى .

أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمى أخبرنا محمد بن محمود الفقيه المروزى بها ، حدثنا محمد بن عمير الرازى حدثنا أبو زكريا يحيى بن أيوب العلاف التجيبى بمصر ، حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا أشهب بن عبد العزيز سمعت مالك بن أنس يقول : إياك والبدع ! قيل : يا أبا عبدالله . وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته ، وكلامه وعلمه وقدرته لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون.

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عمر الزاهد الخفاف ، أخبرنا أبو نعيم عبدالملك بن محمد بن عدى الفقيه حدثنا الربيع ابن سليمان سمعت الشافعى رحمه الله يقول : لأن ألقاه بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إلى من ألقاه بشىء من الأهواء .

أخبرنى أبو طاهر محمد بن الفضل حدثنا أبو عمر والحيرى حدثنا أبو الأزهر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن جعفر بن برقان قال : سأل رجل عمر بن عبد العزيز عن شىء من الأهواء ، فقال : الزم دين الصبى فى الكتاب ، والاعرابى واله عما ذلك .

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا محمد بن يزيد سمعت أبا يحيي القزاز يقول : سمعت العباس بن حمزة يقول : سمعت أحمد بن أبي الحوارى يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه .

أخبرنا أبو الحسين الخفاف حدثنا أبو العباس محمد بن اسحاق السراج ، حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، حدثنا الهيثم بن خارجة سمعت الوليد بن مسلم قال : سألت الأوزاعى وسفيان ومالك ابن أنس عن هذه الأحاديث فى الصفات والرؤية قال : أمروها كما جاءت بلا كيف .

قال الإمام الزهرى إمام الأئمة فى عصره ، وعين علماء الأمة فى وقته : على الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم .

وعن بعض السلف : قدم الاسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم.

أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جدى الإمام أحمد بن نصر ، حدثنا أبو يعقوب الحسن ، حدثنا كثير بن عبدالله المزنى عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء قيل : يا رسول الله ، ومن الغرباء ؟ قال : الذين يحبون سنتى من بعدى ويعلمونها عباد الله » . (١) .

---

(١) اسناده ضعيف جداً فيه كثير المزنى متهم بالكذب ، لكن صح الحديث دون قسمه الأخير الذى فيه تفسير الغرباء ، رواه مسلم ، وانظر (تخريج المشكاة - ١-٦٠) لشيخنا الألبانى . (المعلق) .

أخبرنا عبد الله الحافظ سمعت أبا الحسن المكارى يقول : سمعت على بن عبد العزيز يقول : سمعت أبا القاسم بن سلام يقول : المتبع للسنة كالقابض على الجمر ، وهو اليوم عندى أفضل من ضرب السيف فى سبيل الله (١)

وروى عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال : دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال : « يا أيها الناس ! من علم شيئاً فليقل به ،ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فان من العلم أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم . قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلفين) (٢)

أخبرنا عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس المعقلى ، حدثنا أحمد ابن عبد الجبار العطاردى ، حدثنى أبى وعبد الرحمن الضبى ، عن القاسم بن عروة عن محمد بن كعب القرظى قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فجعلت أنظر إليه نظراً شديداً ، فقال : إنك لتنظر إلى نظراً ما كنت تنظره إلى وأنا بالمدينة ، فقلت : لتعجبى فقال : ومم تعجب ؟ قال : قلت : وما حال من لونك ، ونحل من جسمك ونتى من شعرك ؟ قال : كيف ولو رأيتنى بعد ثلاثة فى قبرى ، وقد سالت حدقتاى على وجنتى ، وسال منخراى فى فمى صديداً ؟ كنت لى أشد نكرة ، حدثنى حديثاً كنت حدثتنيه عن

---

(١) قلت : الأمر فى زماننا هذا . وقد انتشر الجهل حتى بين طلاب العلم ؟

(٢) هو جزء من حديث موقوف على ابن مسعود ، وإسناده صحيح ، أخرجه الشيخان ، فتصديره بلفظة (روى) الخاصة بالتمريض مخالف لما عليه المحققون ، والواجب تصديره بلفظه تفيد الجزم . (المعلق) .

عبد الله بن عباس قال : قلت : حدثنى عبد الله بن عباس يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لكل شيء شرف ، وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، لا تصلوا خلف نائم ولا محدث ، واقتلوا الحية والعقرب ، وإن كنتم فى صلاتكم ، ولا تستروا الجدر بالثياب ، ومن نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فانما ينظر فى النار ، ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا بلى : يا رسول الله . قال : الذى يجلد عبده ، ويمنع رفده ، وينزل وحده ، أفلا أنبئكم بشر من ذلكم ؟ الذى يبغض الناس ، ويبغضونه . أفلا أنبئكم بشر من ذلكم ؟ الذى لا يقيل عثرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً . أفلا أنبئكم بشر من ذلكم ؟ الذى لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره ، من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يد غيره ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله . إن عيسى عليه السلام قام فى قومه فقال : يا بنى إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال ، فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها ، فتظلموهم ، ولا تظلموا ، ولا تكافئوا ظالماً بظلمه ، فيبطل فضلكم عند ربكم . الأمور ثلاثة : أمر بين رشده فاتبعوه ، وأمر بين غيه ، فاجتنبوه ، وأمر اختلفتم فيه فكلوه لله عز وجل » . (١)

البعث بعد الموت والشفاعة

ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة ، وبكل

---

(١) ضعيف : فيه أحمد بن عبد الجبار العطاردى ضعيف .

ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق ، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك ، فى ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل ، والإجابة عن المسائل ، إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة فى ذلك اليوم العظيم ، والمقام الهائل من الصراط والميزان ، ونشر الصحف التى فيها مثاقيل الذر من الخير والشر ، وغيرها ، ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمذنبي أهل التوحيد ، ومرتكبي الكبائر ، كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخبرنا أبو سعيد بن حمدون ، أنبأنا أبو حامد بن الشرقى ، حدثنا أحمد بن يوسف السلمى ، حدثنا عبد الرازق ، أنبأنا معمر عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » . (١)

وأخبرنا أبو على زاهر بن أحمد أخبرنا محمد بن المسيب الأغيانى حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عبد السلام بن حرب الملائى ، عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قراد ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة ، فاخترت الشفاعة ، لأنها أعم وأكفى . أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ، ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين» . (٢)

---

(١) صحيح . رواه أحمد وأبو داود والنسائى عن جابر .

(٢) ضعيف . أورده السيوطى رحمه الله فى الجامع الصغير . وضعفه الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى فى « ضعيف الجامع رقم ٩٢٣١ طبع المكتب الإسلامى » . إلا أنه صحح الشطر الأول منه « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة » .

أخبرنا أبو محمد المخلدي ، أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا قتيبة ابن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو ، (ح) . وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة أخبرنا جدي الإمام محمد بن إسحق بن خزيمة ، حدثنا علي بن حجر بن إسماعيل بن جعفر ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : « لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه » (١)

الحوض والكوثر

ويؤمنون بالحوض والكوثر ، وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب ، ومحاسبة فريق منهم حساباً يسيرا ، وإدخالهم الجنة بغير سوء يمسهم ولا عذاب يلحقهم ، وإدخال فريق من مذنبيهم النار ثم إعتاقهم أو إخراجهم منها ، وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إليها ، ولا يخلدون في النار ، فأما الكفار فإنهم يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبداً ، ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الإيمان أحداً .

رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة

ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة .

عليه وسلم فى قوله : « إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » (١) والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية ، لا للمرئى ، والأخبار الواردة فى الرؤية مخرجة فى كتاب (الانتصار) بطرقها .

الايمان بالجنة والنـــار وأنهما مخلوقتان

ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما باقيتان لا يفنيان أبداً ، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدا ، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها ، لا يخرجون أبداً ، وأن المنادى ينادى يومئذ « يا أهل الجنة خلود ولا موت ، ويا أهل النار خلود ولا موت » على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)

الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص

ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، قال محمد بن على بن الحسن بن شفيق : سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله عن الإيمان فى معنى الزيادة والنقصان ، فقال : حدثنا الحسن بن موسى الأشيب حدثنا حماد بن سلمة عن أبى جعفر عن أبيه عن جده عن عمر بن حبيب قال : الإيمان يزيد وينقص. فقيل : وما زيادته وما نقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله فحمدناه سبحانه فتلك زيادته ، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه .

---

(١) متفق عليـــه .
(٢) رواه الشيخان من حديث ابن عمر .(المعلق) .

أخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحق المزكى ، حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الحيرى ، حدثنا محمد بن يحيي الذهلي ، ومحمد بن إدريس المكى ، وأحمد بن شداد الترمذى ، قالوا : حدثنا الحميدى حدثنا يحيي بن سليم : سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان فقالوا : قول وعمل .

وسألت هشام بن حسان فقال : قول وعمل . وسألت ابن جرير فقال : قول وعمل . وسألت محمد بن مسلم الطائفى فقال : قول وعمل . وسألت سفيان الثورى فقال : قول وعمل . وسألت المثنى ابن الصباح فقال : قول وعمل . وسألت فضيل فقال : قول وعمل . وسألت نافع بن عمر الجمحى فقال : قول وعمل . وسألت سفيان ابن عيينة فقال : قول وعمل .

وأخبرنا أبو عمرو الحيرى ، حدثنا محمد بن يحيي ومحمد بن إدريس سمعت الحميدى يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة : يا أبا محمد تقول : ينقص ؟ فقال : أسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء .

وقال الوليد بن مسلم : سمعت الأوزاعى ومالكاً وسعيد ابن عبد العزيز ينكرون على من يقول : إقرار بلا عمل . ويقولون لا إيمان إلا بعمل ، فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فانه أكمل إيماناً ، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة فايمانه ناقص .

وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعت أبا بكر محمد ابن أحمد بن باكويه الحلاب يقول : سمعت أبا بكر محمد بن إسحق ابن خزيمة يقول : سمعت أحمد بن سعيد الرباطى يقول : قال لى عبد الله بن طاهر : يا أحمد إنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلا ، وأنا أبغضهم عن معرفة . أولا : إنهم لا يرون للسلطان طاعة . والثانى : إنه ليس للايمان عندهم قدر ، والله لا أستجيز أن أقول : إيمانى كايمان يحي بن يحي ، ولا كايمان أحمد بن حنبل ، وهم يقولون : إيماننا كايمان جبرائيل وميكائيل .

وسمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول : سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول : سمعت إسحق بن إبراهيم الحنظلى يقول : قدم ابن المبارك الرى فقام إليه رجل من العباد ، الظن أنه يذهب مذهب الخوارج ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزنى ويسرق ويشرب الخمر ؟ قال لا أخرجه من الإيمان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئاً ؟ فقال : لا تقبلنى المرجئة . المرجئة تقول : حسناتنا مقبولة ، وسيئاتنا مغفورة ، ولو علمت أنى قبلت حسنة لشهدت أنى فى الجنة ، ثم ذكر عن أبى شوذب عن سلمة بن كهيل ، عن هذيل بن شرحبيل قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو وزن إيمان أبى بكر بايمان أهل الأرض لرجح .

سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيبانى يقول : سمعت يحي بن منصور القاضى يقول : سمعت محمد بن

إسحق بن خزيمة يقول: سمعت الحسين بن حرب أخا أحمد بن حرب الزاهد يقول : أشهد أن دين أحمد بن حرب الذى يدين الله به أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .

لا يكفر أحد من المسلمين بكل ذنب

ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر وكبائر فانه لا يكفر بها ، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ، ومات على التوحيد والإخلاص ، فان أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه ، وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً ، غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار ، وإن شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار ، وإذا عذبه لم يخلده فيها ، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار .

وكان شيخنا سهل بن محمد رحمه الله يقول : المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فانه لا يلقى فيها إلقاء الكفار ، ولا يبقى فيها بقاء الكفار ، ولا يشقى فيها شقاء الكفار . ومعنى ذلك أن الكافر يسحب على وجهه إلى النار ، ويلقى فيها منكوساً فى السلاسل والأغلال والأنكال الثقال ، والمؤمن المذنب إذا ابتلى فى النار فانه يدخل النار كما يدخل المجرم فى الدنيا السجن على الرجل من غير إلقاء وتنكيس . ومعنى قوله « لا يلقى فى النار إلقاء الكفار » أن الكافر يحرق بدنه كله ، كلما نضج جلده بدل جلداً غيره ، ليذوق العذاب كما بينه الله فى كتابه فى قوله تعالى (**إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً**

غيرها ليذوقوا العذاب) : (١) وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار ، ولا تحرق أعضاء السجود منهم ، إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده . ومعنى قوله : « لا يبقى فى النار بقاء الكفار » إن الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبداً ، ولا يخلد الله من مذنبى المؤمنين فى النار أحداً . ومعنى قوله : « لا يشقى بالنار شقاء الكفار » إن الكفار ييأسون فيها من رحمة الله ، ولا يرجون راحة بحال ، وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله فى كل حال ، وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة ، لأنهم خلقوا لها وخلقت لهم فضلا من الله ومنة .

حكم تارك الصلاة عمداً

واختلف أهل الحديث فى ترك المسلم صلاة الفرض متعمداً ، فكفره بذلك أحمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف ، وأخرجوه به من الإسلام ، للخبر الصحيح : « بين العبد والشرك ترك الصلاة ، فمن ترك الصلاة فقد كفر » (٢) وذهب الشافعى وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين إلى أنه لا يفكر مادام معتقداً لوجوبها ، وإنما يستوجب القتل كما يستوجبه المرتد عن الإسلام ، وتأولوا الخبر من ترك الصلاة جاحداً كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام أنه قال : **(إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون**

---

(١) النساء : ٥٦

(١) رواه مسلم وبلفظ « بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة »

بالله وهم بالآخرة هم كافرون) (١) ولم يلك يتلبس بكفر فارقه ، ولـكن تركه جاحداً له . (٢) .

خلق أفعال العبـــاد

ومن قول أهل السنة والجماعة فى أكساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى ، لا يمترون فيه ، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه ، ويشهدون أن الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، لا حجة لمن أضله الله عليه ، ولا عذر له لديه : قال الله عز وجل قل : فـ لله الحجة البالغة ، **فلو شاء لهداكم أجمعين** (٣) وقال : **(ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، ولـكن حق القول منى)** (٤) الآية وقال : **(ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس)** (٥) الآية . سبحانه وتعالى خلق الخلق بلا حاجة إليهم ، فجعلهم فرقتين ، فريقاً للنعيم فضلا ، وفريقاً للجحيم عدلا ، وجعل منهم غوياً ورشيداً ، وشقياً وسعيداً ، وقريباً من رحمته ، وبعيداً ، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون .

أخبرنا أبو محمد المخلدى أخبرنا أبو محمد العباس السراج حدثنا يوسف عن موسى أخبرنا جرير عن الأعمش عن زيد بن وهب عن

---

(١) يوسف : ٣٧

(٢) بسط القول فى حكم تارك الصلاة عمداً ابن القيم فى كتاب الصلاة طبع محب الدين الخطيب وابنه ، وذهب إلى أن أهل الحديث لا يوجبون عليه قضاءها وإنما يكثر من النوافل ، فراجع لذلك رسالة ابن القيم .

(٣) الأنعـــام : ١٤٩ .

(٤) السجدة : ١٣ .   (٥) الأعراف : ١٧٩ .

عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات ، رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ، فو الذى نفسى بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، ثم يدركه ما سبق له فى الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » (١)

الخير والشر

ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره ، لا مرد لهما ، ولا محيص ولا محيد عنهما ، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه ، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له . لم يقدروا عليه ، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا . على ما ورد به الخبر عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) . وقال الله عز وجل : ((**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله**) (٣، ٤)

ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من

---

(١) رواه البخارى ، وتكملته : « وإنه ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل أهل الجنة فيدخلها » .

(٢) رواه أحمد والترمذى (٢٦٣٥) وقال : « حديث حسن صحيح » وهو كما قال : (المعلق) .

(٣) يونس : ١٠٧ .

(٤) لقد بسط الإمام ابن القيم مسألة القضاء والقدر فى كتابه القيم « شفاء العليل» فيراجع لهذه المسألة .

الله ، وبقضائه ، لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد ، فلا يقال : يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه ، وفى ذلك ورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعاء الاستفتاح « تباركت وتعاليت ، والخير فى يديك ، والشر ليس إليك » (١) ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصداً ، حتى يقال لك فى المناداة : ياخالق الشر أو يا مقدر الشر ، وإن كان هو الخالق والمقدر لها جميعاً ، لذلك أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه ، فقال : فيما أخبر الله عنه فى قوله : (**أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر ، فأردت أن أعيبها**) ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلى الله عز وجل فقال : (**فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ، ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك**) (٢) ولذلك قال مخبراً عن إبراهيم عليه السلام أنه قال : (**وإذا مرضت فهو يشفين**) (٣) فأضاف المرض إلى نفسه ، والشفاء إلى ربه ، وإن كان الجميع منه .

ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها ، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته ، ولم يكفر أحد إلا بمشيئته ، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ، ولو شاء أن

---

(١) صحيح . انظر صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد ناصر الألبانى *
(٢) الكهف : ٨٠ .
(٣) الكهف : ٨٣ .

لا يعصى ما خلق إبليس فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره ، وإرادته ومشيئته ، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه ، ويرضى الإيمان والطاعة ، ويسخط الكفر والمعصية ، قال الله عز وجل : (**إن تكفروا فان الله غنى عنكم، ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يرضه لكم**) . (١)

عواقب العباد مبهمة

ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة ، لايدرى أحد بما يختم له ، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة ، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار ، لأن ذلك مغيب عنهم ، لا يعرفون ما يموت عليه الإنسان ؛ ولذلك يقولون : إنا مؤمنون إن شاء الله . ويشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة فان الذين سبق القضاء عليهم من الله أنهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم التى اكتسبوها ، ولم يتوبوا منها ، فانهم يردون أخيراً إلى الجنة ولا يبقى أحد فى النار من المسلمين ، فضلا من الله ومنة ، ومن مات والعياذ بالله على الكفر فمرده إلى النار لا ينجو منها ، ولايكون لمقامه فيها منتهى .

المبشرون بالجنة : فأما الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة ، فان أصحاب الحديث

---

(١) الزمر ٧ .

راجع لزيادة فهم هذه المسألة شرح العقيدة الطحاوية . طبع المكتب الإسلامى .

يشهدون لهم بذلك ؛ تصديقاً للرسول صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ووعده لهم ، فانه صلى الله عليه وسلم لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك ، والله تعالى أطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على ما شاء من غيبه ، وبيان ذلك فى قوله عز وجل : (**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول**) (١) وقد بشر صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه بالجنة ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد (٢) وأبو عبيدة ابن الجراح ، وكذلك قال لثابت بن قيس بن شماس : « أنت من أهل الجنة » (٣) . قال أنس بن مالك : فلقد كان يمشى بين أظهرنا ونحن نقول : إنه من أهل الجنة .

أفضل الصحابة

ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، وأنهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر صلى الله عليه وسلم خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن نبهان عن سفينة « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » (٤) وبعد انقضاء أيامهم عاد

---

(١) الجن : ٢٦ .

(٢) هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل .

(٣) وهو جزء من حديث رواه الحافظ ابن عبد البر فى « الاستيعاب »(١-١٩٤-١٩٥» وفى إسناده ضعف، ولكن له شاهداً أورده الحافظ بن حجرفى الإصابة - ١-١٩٤ .(المعلق) .

(٤) صحيح . رواه أحمد والترمذي .

الأمر إلى الملك العضوض على ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم (١) . ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باختيار الصحابة واتفاقهم عليه ، وقولهم قاطبة : رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، فرضيناه لدينانا ، وقولهم : قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يؤخرك ! وأرادوا أنه صلى الله عليه وسلم قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه ، فصلينا وراءك بأمره ، فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك ؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده ، فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا ، فانتفعوا بمكانه ، وارتفعوا حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه : والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف لما عبد الله . ولما قيل له : مه يا أبا هريرة ! قام بحجة صحة قوله ، فصدقوه فيه وأقروا به .

ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه ، واتفاق الصحابة عليه بعده ، وإنجاز الله سبحانه بمكانه في إعلاء الإسلام ، وإعظام شأنه وعده .

ثم خلافة عثمان رضي الله عنه باجماع أهل الشورى ، وإجماع الأصحاب كافة ، ورضاهم به حتى جعل الأمر إليه .

(١) للحديث السابق تتمة هي « ثم تكون بعد ذلك ملكاً » أورده أستاذنا الألباني في (السلسلة الصحيحة – ٤٦٠) وصححه . (المعلق) .

ثم خلافة على رضى الله عنه ببيعة الصحابة إياه ، عرفه ورآه كل منهم رضى الله عنه أحق الخلق ، وأولاهم فى ذلك الوقت بالخلافة ، ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه ، فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين وقهر وقسر بمكانهم الملحدين ، وقوى بمكانهم الإسلام ، ورفع فى أيامهم للحق الأعلام ، ونور بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام ، وحقق بخلافتهم وعده السابق فى قوله عز وجل : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**)(١) وفى قوله : (**أشداء على الكفار**) (٢) فمن أحبهم وتولاهم ، ودعا لهم ، ورعى حقهم ، وعرف فضلهم فاز فى الفائزين ، ومن أبغضهم وسبهم ، ونسبهم إلى ما تنسبهم الروافض والخوارج — لعنهم الله — فقد هلك فى الهالكين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أصحابى ، فمن سبهم فعليه لعنة الله » (٣) وقال : « من أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن سبهم فعليه لعنة الله » (٤) .

---

(١) النـــور : ٥٥ .

(٢) الفتح : ٢٩

(٣) الجملة الأولى صحيحة ، وردت فى حديث رواه الشيخان وغيرهما بلفظ : « لا تسبوا أصحابى ، فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وأما باقى الحديث فلم أجده .(المعلق) .

(٤) ضعيف : رواه الترمذى (٢-٣٢٩) عن عبدالله بن معقل واستغربه . قلت وليس عنده الجملة الأخيرة .

الصلاة خلف البر والفاجر

ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين ، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم براً كان أو فاجراً . ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة ، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح ، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف . ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل ، ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم . ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم . وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضى الله عنهن ، والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين.

لا تدخل الجنة بالعمل

ويعتقدون ويشهدون أن أحداً لا تجب له الجنة وإن كان عمله حسناً ، وطريقه مرتضى إلا أن يتفضل الله عليه ، فيوجبها له بمنه وفضله ، إذ عمل الخير الذى عمله لم يتيسر له إلا بتيسير الله عز اسمه ، فلو لم ييسره له لم يهد له أبداً . قال الله عز وجل : (**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً . ولكن الله يزكي من يشاء**) (١) وفى آيات سواها .

---

(١) النـــور : ٢١ .

لكل مخلوق أجل

ويعتقدون ويشهدون أن الله عز وجل أجل لكل مخلوق أجلا ، وأن نفساً لن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلا ، وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت ، وليس له عنه فوت ، قال الله عز وجل : **(ولكل أمة أجل ، فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون)** (١) وقال : **(وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلا)** (٢) .

ويشهدون أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله ، قال الله عز وجل : **(قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم)** (٣) .

وسوسة الشياطين

ويتيقنون أن الله سبحانه وتعالى خلق الشياطين يوسوسون للآدميين ويتعمدون استزلالهم ويترصدون لهم ، قال الله عز وجل : **(وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)** (٤) . وإن الله يسلطهم على من يشاء ، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء ، قال الله عز وجل :

(١) النحل : ٦١ .
(٢) آل عمران : ١٤٥ .
(٣) آل عمران : ١٥٤ .
(٤) الأنعام : ١٢١ .

(واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ، إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا) (١) . وقال : **(انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)** (٢) .

السحر والسحـــرة

ويشهدون أن فى الدنيا سحراً وسحرة ، إلا أنهم لا يضرون أحدا إلا باذن الله ، قال الله عز وجل : **(وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله)** (٣) ومن سحر منهم واستعمل السحر ، واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى فقد كفر . وإذا وصف ما يكفر به استتيب ، فان تاب وإلا ضربت عنقه ، وإن وصف ما ليس بكفر ، أو تكلم بما لا يفهم نهى عنه فان عاد عزر . وإن قال : السحر ليس بحرام ، وأنا أعتقد إباحته وجب قتله ، لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه .

آداب أصحاب الحديث

ويحرم أصحاب الحديث المسكر من الأشربة المتخذة من العنب أو الزبيب أو التمر أو العسل أو الذرة أو غير ذلك مما يسكر ،

---

(١) الاسراء : ٦٤ .

(٢) النحـــل : ١٠٠ .

(٣) البقـــرة : ١٠٢ .

يحرمون قليله وكثيره ، ويجتنبونه ويوجبون به الحد . ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها فى أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات . ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام . (١) ويأمرون باتمام الركوع والسجود حتما واجباً ، ويعدون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما ، والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه ، وكذلك الارتفاع من السجود ، والجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه من أركان الصلاة التى لا تصح إلا بها . ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام ، وبصلة الأرحام وإفشاء السلام وإطعام الطعام ، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام ، والاهتمام بأمور المسلمين ، والتعفف فى المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع . ويتحابون فى الدين ويتباغضون فيه ، ويتقون الجدال فى الله ، والخصومات فيه ، ويتجنبون أهل البدع والضلالات ، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات . ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين ، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين . ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا فى الدين ما ليس منه ، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ، ولا يسمعون كلامهم ، ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم فى الدين ،

(١) قلت : فى قراءة الفاتحة خلف الإمام فى الصلاة الجهرية خلاف والأرجح – والله أعلم – عدم الوجوب .

ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التى إذا مرت بالآذان وقرت فى القلوب ضرت ، وجرت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة . وفيه أنزل الله عز وجل قوله : **(وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره)** (١) .

علامات أهل البدع

وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة ، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبى صلى الله عليه وسلم ، واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة ، اعتقاداً منهم فى أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أنها بمعزل عن العلم ، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة ، وهو اجس قلوبهم الخاليةمن الخير ، وحججهم العاطلة، بل شبههم الداحضة الباطلة. أولئك الذين لعنهم الله، فأصمهم وأعمى أبصارهم، ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل مايشاء .

سمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ يقول : سمعت أبا على الحسين ابن على الحافظ يقول : سمعت جعفر بن أحمد بن مناف الواسطى يقول : سمعت أحمد بن سنان القطاف يقول : ليس فى الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث ، فاذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه .

---

(١) الأنعام : ٦٨ .

وسمعت الحاكم يقول : سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول : سمعت محمد بن اسماعيل الترمذى يقول كنت: أنا وأحمد ابن الحسن الترمذى عند إمام الدين أبى عبد الله أحمد بن حنبل ، فقال له أحمد بن الحسن : يا أبا عبدالله ذكروا لابن أبى قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال : أصحاب الحديث قوم سوء . فقام أحمد ابن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول : زنديق زنديق ، حتى دخل البيت .

وسمعت الحاكم أبا عبدالله يقول : سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول : سمعت أبا نصر بن سلام الفقيه يقول : ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته باسناده .

وسمعت الحاكم يقول : سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن اسحق ابن أيوب الفقيه وهو يناظر رجلا فقال الشيخ أبو بكر : حدثنا فلان فقال له الرجل : دعنا من حدثنا ! إلى متى حدثنا ؟ فقال الشيخ له : قم يا كافر فلا يحل لك أن تدخل دارى بعد هذا أبداً ، ثم التفت إلينا وقال : ما قلت لأحد ما تدخل دارى إلا هذا .

وسمعت أبا منصور محمد بن عبدالله بن حماد العالم الزاهد يقول : سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد المقرى الرازى يقول : قرأ على عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى وأنا أسمع : سمعت أبى يقول : عنى به الإمام فى بلده أباه أباحاتم محمد بن إدريس الحنظلى الرازى يقول : علامة أهل البدع الوقعة فى أهل الأثر ، وعلامة الزنادقة تسميتهم

أهل الأثر حشوية ، يريدون بذلك إبطال الأثر ، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة ، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة ، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ثابتة وناصبة ، قلت : وكل ذلك عصبية ، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث ، قلت أنا : رأيت أهل البدع فى هذه الأسماء التى لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانهم اقتسموا القول فيه ، فسماه بعضهم ساحراً ، وبعضهم كاهناً ، وبعضهم شاعراً ، وبعضهم مجنوناً ، وبعضهم مفتوناً ، وبعضهم مفترياً مختلقاً كذاباً ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم من تلك المعائب بعيداً بريئاً ، ولم يكن إلا رسولا مصطفى نبياً ، وقال الله عز وجل : (**انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**) (١) . كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول فى حملة أخباره ، ونقلة آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته ؛ فسماهم بعضهم حشوية ، وبعضهم مشبهة ، وبعضهم ثابتة ، وبعضهم ناصبة ، وبعضهم جبرية ، وأصحاب الحديث عصابة من هذه المعايب بريئة زكية نقية ، وليسوا إلا أهل السنة المضية ، والسيرة المرضية ، والسبل السوية ، والحجج البالغة القوية ، قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه ووحيه وخطابه ، والاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم فى أخباره التى أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل ، وزجرهم فيها عن المنكر منهما ، وأعانهم على

---

(١) الإسراء : ٤٨ والفرقان : ٩.

التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته ، وشرح صدورهم لمحبته ، ومحبة أئمة شريعته ، وعلماء أمته ، ومن أحب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحب »(١)

علامات أهل السنة

وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة ، وعلمائها وأنصارها وأوليائها ، وبغضهم لأئمة البدع ، الذين يدعون إلى النار ، ويدلون أصحابهم على دار البوار ، وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلا منه جل جلاله .

أخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ أسكنه الله وإيانا الجنة ، حدثنا محمد بن ابراهيم بن الفضل المزكى ، حدثنا أحمد بن سلمة ، قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له ، فكان فى آخره : فاذا رأيت الرجل يحب سفيان الثورى ، ومالك بن أنس والأوزاعى وشعبة وابن المبارك ، وأبا الأحوص وشريكاً ووكيعاً ويحيي بن سعيد ، وعبد الرحمن ابن مهدى فاعلم أنه صاحب سنة ، قال أحمد ابن سلمة رحمه الله : فألحقت بخطى تحته : ويحيي وأحمد بن حنبل . واسحق بن راهويه ، فلما انتهينا إلى هذا الموضع نظر إلينا أهل نيسابور ، وقال : هؤلاء القوم يبغضون يحيي بن يحيي ، فقلنا له : يا أبا رجاء ما يحيي بن يحيي ؟ قال رجل صالح إمام المسلمين ، واسحق بن ابراهيم إمام ، وأحمد بن حنبل أكبر من سميتهم كلهم ،

(١) رواه البخارى ومسلم .

وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة رحمه الله ، إن من أحبهم فهو صاحب سنة من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون ، وبهديهم يهتدون ، ومن جملتهم وشيعتهم أنفسهم يعدون ، وفى اتباعهم آثارهم يجدون جماعة آخرين ، منهم محمد بن إدريس الشافعى ، وسعيد بن جبير والزهرى ، والشعبى والتيمى ، ومن بعدهم ، كالليث ابن سعد والأوزاعى والثورى وسفيان بن عيينة الهلالى ، وحماد ابن سلمة وحماد بن زيد ، ويونس بن عبيد ، وأيوب وابن عوف ونظرائهم . ومن بعدهم مثل يزيد بن هارون ، وعبد الرزاق وجرير ابن عبد الحميد ، ومن بعدهم محمد بن يحيى الذهلى ، ومحمد بن اسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج القشيرى ، وأبى داود السجستانى وأبى زرعة الرازى ، وأبى حاتم وابنه ومحمد بن مسلم بن واره ، ومحمد بن أسلم الطوسى ، وعثمان بن سعيد الدارمى ، ومحمد بن اسحاق بن خزيمة الذى كان يدعى إمام الأئمة ، والمقرى كان إمام الأئمة فى عصره ووقته ، وأبى يعقوب إسحق بن اسماعيل البستى ، وجدى من قبل أبى أبو سعيد يحيى بن منصور الزاهد الهروى ، وعدى بن حمدويه الصابونى ، وولديه سيفى السنة أبى عبدالله الصابونى وأبى عبد الرحمن الصابونى ، وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين بها ، ناصرين لها داعين إليها والين عليها ، وهذه الجمل التى أثبتها فى هذا الجزء كانت معتقد جميعهم ، لم يخالف فيها بعضهم بعضاً ، بل أجمعوا عليها كلها ، واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع ، وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم ، والتباعد منهم ومن

مصاحبتهم ومعاشرتهم ، والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم ، قال الأستاذ الإمام رحمه الله : وأنا بفضل الله عز وجل متبع لآثارهم مستضيء بأنوارهم ، ناصح لإخواني وأصحابي أن لا يزلقوا عن منارهم ، ولا يتبعوا غير أقوالهم ، ولا يشتغلوا بهذه المحادثات من البدع التي اشتهرت فيما بين المسلمين ، وظهرت وانتشرت ، ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجروه ، وبدعوه ولكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه ، ولا يغرن إخواني حفظهم الله كثرة أهل البدع ، ووفور عددهم فان ذلك من أمارات اقتراب الساعة ، إذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال : « إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل » (١) والعلم هو السنة ، والجهل هو البدعة ، ومن تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بها واستقام عليها ، ودعا إليها كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الإسلام والملة ، إذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال له : « أجر خمسين فقيل : خمسين منهم ؟ قال : بل منكم » (٢) . إنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته .

---

(١) رواه البخاري ومسلم ولفظه : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد » .

(٢) صحيح : ونصه : « إن من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم ، قالوا : يا نبي الله أومنهم ؟ قال : بل منكم » انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٤٩٦ .

وجدت فى كتاب الشيخ الإمام جدى أبى عبدالله محمد بن عدى بن حمدويه الصابونى رحمه الله : أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان الثورى ، أن العباس بن صبيح حدثهم ، حدثنا عبد الجبار بن طاهر حدثنى معمر بن راشد ، سمعت ابن شهاب الزهرى يقول : تعليم سنة أفضل من عبادة مئتى سنة .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن زكريا الشيبانى ، أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولى ، سمعت محمد بن حاتم المظفرى يقول : كان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد فحدثه بحديث أبى هريرة « احتج آدم وموسى » (١) فقال عيسى ابن جعفر : كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما ؟ قال فوثب به هارون وقال : يحدثك عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعارضه بكيف ؟ قال : فما زال يقول حتى سكت عنه ، هكذا ينبغى للمرء أن يعظم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق ، وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذى سلكه هارون الرشيد رحمه الله مع من اعترض على الخبر الصحيح ، الذى سمعه بكيف ؟ على طريق الإنكار له ،

---

(١) الحديث متفق عليه ونصه « احتج آدم وموسى ، فقال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ؟ ونفخ فيك من روحه وأسجد لك الملائكة ، وأسكنك جنته أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟ . قال آدم : ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وأنزل عليك التوراة ، أتلومنى على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقنى ؟ فحج آدم موسى » .

والابتعاد عنه ، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول صلى الله عليه وسلم . جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ويتمسكون فى دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة ، وجنبنا الأهواء المضلة والآراء المضمحلة ، والأسواء المذلة ، فضلا منه ومنة . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الرسالة الثالثة

تجريد التوحيد المفيد

للشيخ الإمام تقى الدين أحمد بن على المقريزى

بسم الله الرحمن الرحـــيم

الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين * وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد. فهذا كتاب جم الفوائد بديع الفرائدينتفع به من أراد الله والدار الآخرة سميته تجريد التوحيد المفيد والله أسأل العون على العمل به بمنه .

اعلم أن الله سبحانه هو رب كل شىء ومالكه وإلهه : فالرب مصدر رب يرب رباً فهو راب : فمعنى قوله تعالى **(رب العالمين)** راب العالمين، فان الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم وإصلاحهم المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا * والالهية كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل ونحو هذه الأشياء فان التوحيد حقيقة أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلق وترك لومهم والرضا عن الله تعالى والتسليم لحكمه .

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده والتأله من عباده له سبحانه كما أن الرحمة هى الوصلة بينهم وبينه عز وجل * واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدراً توحيد الله تعالى غير أن التوحيد له قشران * الأول أن تقول بلسانك لا إله إلا الله ويسمى هذاالقول توحيداً وهو مناقض للتثليث الذى تعتقده النصارى وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المنافق الذى يخالف سره جهره * والقشر الثانى أن لا يكون فى القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس * ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى ثم يقطع الالتفات إلى الوسائط وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره . ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده : قال الله تعالى (**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه**) .

وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده إنما عبد هواه وهو ميل نفسه إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل : وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهوى : ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات إليهم فان من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه : وهذا التوحيد مقام الصديقين ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السموات والأرض والقائم بمصالح العالم كله ،وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة كما قد حكى الله تعالى عنهم فى قوله

(**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله**) فلماسووا غيره به فى هذا التوحيد كانوا مشركين كما قال الله تعالى (**الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**) وقد علم الله سبحانه وتعالى عباده كيفية مباينة الشرك فى توحيد الآلهية وإنه تعالى حقيق بافراده ولياً وحكما وربا فقال تعالى (**قل أغير الله أتخذ ولياً**) وقال (**أفغير الله أبتغى حكما**) وقال (**قل أغير الله أبغى رباً**) فلا ولى ولا حكم ولا رب إلا الله الذى من عدل به غيره فقد أشرك فى ألوهيته ولو وحد ربوبيته فتوحيد الربوبية هو الذى اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها وتوحيد الآلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله ولو قال لا رب إلا الله لما اجزأه عند المحققين * فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد ولهذا كان أصل الله الأله كما هو قول سيبويه وهو الصحيح وهو قول جمهور أصحابه إلا من شذ منهم .

وبهذا الاعتبار الذى قررنا به الآله وأنه المحبوب لاجتماع صفات الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى والصفات العليا وهو الذى ينكره المشركون ويحتج الرب سبحانه وتعالى عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته كما قال الله تعالى (**قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل**

هم قوم يعدلون) وكلما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها أإله مع الله فأبان سبحانه وتعالى بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون فى إثبات توحيد الآلهية لا الربوبية على أن منهم من أشرك فى الربوبية كما يأتى بعد ذلك إن شاء الله تعالى : وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكرى الإلهية باثباتهم الربوبية : والملك هو الآمر الناهى الذى لا يخلق خلقاً بمقتضى ربوبيته ويتركهم سدى معطلين لا يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون فان الملك هو الآمر الناهى المعطى المانع الضار النافع المثيب المعاقب ولذلك جاءت الاستعاذة فى سورة الناس وسورة الفلق بالأسماء الحسنى الثلاثة الرب والملك والآله فانه لما قال **(قل أعوذ برب الناس)** كان فيه إثبات أنه خالقهم وفاطرهم فبقى أن يقال لما خلقهم هل كلفهم وأمرهم ونهاهم قيل نعم فجاء **(ملك الناس)** فأثبت الخلق والأمر ألاله الخلق والأمر فلما قيل ذلك قيل فاذا كان رباً موجداً وملكاً مكلفاً فهل يحب ويرغب إليه ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر قيل**(إله الناس)** أى مألوههم ومحبوبهم الذى لا يتوجه العبد المخلوق المكلف العابد إلاله فجاءت الآلهية خاتمة وغاية وما قبلها كالتوطئة لها وهاتان السورتان أعظم عوذة فى القرآن وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة إلى ذلك وهو حين سحر النبى صلى الله عليه وسلم وخيل إليه أنه يفعل الشىء صلى الله عليه وسلم وما فعله وأقام على ذلك أربعين يوماً كما

فى الصحيح (١) وكانت عقد السحر إحدى عشرة عقدة فأنزل الله

---

(١) وهو فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها « قالت سحر النبى صلى الله عليه وآله وسلم رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندى لكنه دعا ودعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الأعصم قال فى أى شيء قال فى مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو قال فى بئر ذروان فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس من أصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رءوس نخلها رءوس الشياطين قلت يا رسول الله أفلا استخرجته قال قد عافانى الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً فأمر بها فدفنت » هذا لفظ البخارى : وقد اختلف العلماء فى سحر النبى صلى الله عليه وآله وسلم قديماً وحديثاً فذهب الجمهور إلى جواز ذلك ووقوعه وأنه لا يخالف العصمة فلا ينافى الحديث قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) لأن سحر النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان من جنس ما كان يعتريه صلى الله عليه وآله وسلم من الأسقام والأوجاع وهو مرض من الأمراض واصابته به كاصابته بالسم لا فرق بينهما يدل له قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى آخر الحديث « قد عافانى الله » قال ابن القيم فى الهدى قال القاضى عياض : والسحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه صلى الله عليه وآله وسلم كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح فى نبوته وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله فليس فى هذا ما يدخل عليه داخلة فى شيء من صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه فى أمر دنياه التى لم يبعث لسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمورها مالا حقيقة له ثم ينجلى عنه كما كان . فكان غاية هذا السحر فيه صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو فى جسده وظاهر جوارحه لا فى عقله وقلبه ولذلك لم يكن يفتقد صحة ما يخيل إليه بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له . ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض . وقد ذهب طائفة من المتقدمين إلى أنه لا يجوز ذلك عليه صلى الله عليه وآله وسلم وأن هذا نقص فى حقه =

المعوذتين إحدى عشرة آية فانحلت بكل آية عقدة وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن باسمه الإله وهو المعبود وحده لاجتماع صفات

= صلى الله عليه وآله وسلم وعيب وهو ينافى قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ومن المتأخرين الشيخ محمد عبده المصرى وأطنب القول فى رد سحر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونفيه فى تفسيره جزءعم : وحاصل كلامه فيه ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح وهو مما يصدق قول المشركين فيه (إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وليس المسحور عندهم إلا من خولط فى عقله وخيل إليه أن شيئاً يقع وهو لا يقع فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه : والذى يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول باثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ووبخهم على زعمهم هذا فاذا هو ليس بمسحور قطعاً . وأما الحديث فعلى فرض صحته آحاد والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد . وعصمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون على أن الحديث الذى يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنده أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة . وعلى أى حال فلنا بل علينا أن نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فانه إذا خولط النبى صلى الله عليه وسلم فى عقله كما زعموا جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه أو أن شيئاً نزل عليه ولم ينزل عليه . الأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان اهـ : والمسألة فى ذاتها محل بحث وقد ترك كثير من المنتسبين إلى المذاهب الأخذ ببعض الأحاديث التى وردت فى صحيح البخارى أو مسلم أو غيرهما لقول إمام لهم فى المذهب ولمخالفتها القياس فما هنا أولى لدفع شبه الملحدين وغيرهم وموافقة للقرآن القطعى فى ذلك . وإذا علمت هذا تعلم أن ما ذهب إليه المصنف هو قول الجمهور : والله أعلم .

الكمال فيه ومناجاة العبد لهذا الآله الكامل ذى الأسماء الحسى والصفات العليا المرغوب إليه فى أن يعيذ عبده الذى يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه ثم استحب التعليق باسم الإله فى جميع المواطن التى يقال فيها (**أعوذبالله من الشيطان الرجيم**) لأن اسم الله تعالى هو الغاية للأسماء ولهذا كل اسم بعده لا يتعرف إلا به فتقول الله هو السلام المؤمن المهيمن فالجلالة تعرف غيرها وغيرها لا يعرفها ، والذين أشركوا به تعالى فى الربوبية منهم من أثبت معه خالقاً آخر وإن لم يقولوا أنه إله مكافئ له وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية . وربوبيته سبحانه للعالم الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة تبطل أقوالهم لأنها تقتضى ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال : وحقيقة قول القدرية المجوسية أنه تعالى ليس رباً لأفعال الحيوان ولا تتناولها ربوبيته إذ كيف يتناول مالا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه .

وشرك الأمم كله نوعان : شرك فى الآلهية وشرك فى الربوبية فالشرك فى الآلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك وهو شرك عباد الأصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا (**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**) ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة كما هو المعهود فى الدنيا من حصول الكرامة

والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته . والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله وتنص على أنهم أعداء الله تعالى ، وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم ، وما أهلك الله تعالى من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله وأصله الشرك فى محبة الله تعالى ، قال تعالى **(يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله)** فأخبر سبحانه وتعالى أنه من أحب مع الله شيئاً غيره كما يحبه فقد اتخذ نداً من دونه وهذا على أصح القولين فى الآية إنهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور فى قوله تعالى **(ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)** والمعنى على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره فى العبادة فيسوون بينه وبين غيره فى الحب والعبادة ، وكذلك قول المشركين فى النار لأصنامهم **(تالله إن كنا لفى ضلال مبين • إذ نسويكم برب العالمين)** ومعلوم قطعاً أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله فى كونه ربهم وخالقهم فانهم كانوا كما أخبر الله وحده وإنه رب السموات السبع ورب العرش العظيم . وإنه سبحانه وتعالى هو الذى بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ، وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى فى المحبة والعبادة فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه . فهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله فكيف بمن كان غير الله آثر عنده وأحب إليه وأخوف عنده وهو فى مرضاته أشد سعياً منه فى مرضاة الله فاذا كان المسوى بين الله وبين غيره فى ذلك مشركاً فما الظن بهذا فعياذاً

بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها، وهو يظن أنه مسلم موحد فهذا أحد أنواع الشرك . والأدلة الدالة على أنه تعالى يجب أن يكون وحده هو المألوه يبطل هذاالشرك ويدحض حجج أهله وهو أكثر من أن يحيط بها إلا الله بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده وكذلك كل ما أمر به فخلقه وأمره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من القوى شاهد بأن الله الذى لا إله إلا هو وإن كل معبود سواه باطل وأنه هو الحق المبين تقدس وتعالى :

واعجباً كيف يعصى الآله * أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كل تحريكة * وتسكينة أبداً شاهد
وفى كل شىء له آية * تدل على أنه واحد

والنوع الثانى من الشرك الشرك به تعالى فى الربوبية كشرك من جعل معه خالقاً آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بأن للعالم ربين أحدهما خالق الخير ويقولون له بلسان الفارسية يزدان (١) والآخر خالق الشر ويقول له المجوس بلسانهم أهرمن ، وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط وأن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس وأن مصدر هذا العالم عن العقل الفعال فهو رب كل ما تحته ومدبره وهذا شر من شرك عباد

(١) وقوله يزدان معناه الله : وقوله أهرمن أى الشيطان .

الأصنام والمجوس والنصارى وهو أخبث شرك فى العالم إذ يتضمن من التعطيل وجحد الالهية والربوبية واستناد الخلق إلى غيره سبحانه وتعالى ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم • وشرك القدرية مختصر من هذا وباب يدخل منه إليه ولهذا شبههم الصحابة رضى الله عنهم بالمجوس، كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعاً أنهم مجوس هذه الأمة (١) وكثيراً ما يجتمع الشركان فى العبد وينفرد أحدهما عن الآخر والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل هذا الإشراك كقوله تعالى (**إياك نعبد**) فانه ينفى شرك المحبة والآلهية وقوله(**وإياك نستعين**) فانه ينفى شرك الخلق والربوبية . فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين فى العبادة وإنه لا يجوز إشراك غيره معه لا فى الأفعال ولا فى الألفاظ ولا فى

---

(١) لفظ رواية ابن عمر عند أبى داود وغيره «عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: القدرية مجوس هذه الأمة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم» قال الخطابى فى شرح هذا الحديث فى المعالم إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس فى قولهم بالأصلين وهما النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره والله سبحانه وتعالى لا يكون شىء منهما إلا بمشيئته وخلقه الشر شراً فى الحكمة كخلقه الخير خيراً فان الأمرين جميعاً مضافان إليه خلقاً وإيجاداً وإلى الفاعلين لهما فعلا واكتساباً اه : وقال الحافظ المنذرى هذا منقطع أبى حازم سلمة ابن دينار لم يسمع من ابن عمر وقد روى هذا الحديث من طرق عن ابن عمر ليس منها شىء يثبت اه : وقد تعقبه الحافظ ابن حجر وقال هذا الحديث حسنه الترمذى وصححه الحاكم ورجاله من رجال الصحيح : والله أعلم .

الإرادات فالشرك به فى الأفعال كالسجود لغيره سبحانه وتعالى : والطواف بغير بيته المحرم : وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذى هو يمينه تعالى فى الأرض أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها (١) وقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها فكيف من اتخذ القبور أوثاناً تعبد من دون الله تعالى فهذا لم يعلم معنى قول الله تعالى(**إياك نعبد**) وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا.(٢) وفيه عنه أيضاً « إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبورا مساجد »(٣) وفيه أيضاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك » وفى مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وآله وسلم « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها

---

(١) خرج أبو نعيم فى الحلية من حديث فضيل ابن عياض قال سمعت عبد الملك ابن جريج يقول حدثنى عطاءعن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا توضع النواصى إلالله تعالى فى حج أو عمرة فما سوى ذلك فثله » قال أبو نعيم غريب من حديث الفضيل لم نكتبه إلا من هذا الوجه .

(٢) الحديث فى الصحيحين عن أبي هريرة ورواه أيضاً الإمام أحمد بن حنبل .

(٣) رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده باسناد جيد عن عبدالله بن مسعود .

المساجد والسرج » (١) وقال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقال « إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » (٢) والناس فى هذا الباب أعنى زيارة القبور على ثلاثة أقسام . قوم يزورون الموتى فيدعون لهم وهذه هى الزيارة الشرعية . وقوم يزورونهم يدعون بهم فهؤلاء هم المشركون فى الألوهية والمحبة . وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » * وهؤلاء هم المشركون فى الربوبية وقد حمى النبى صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقاً لقوله تعالى (**إياك نعبد**) حتى نهى عن الصلاة فى هذين الوقتين لكونه ذريعة إلى التشبيه بعباد الشمس الذين يسجدون لها فى هاتين الحالتين . وسد الذريعة بأن منع من الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس .

وأما السجود لغير الله فقد قال عليه الصلاة والسلام * لا ينبغى لأحد أن يسجد لأحد إلا الله * ولا ينبغى (٣) فى كلام الله ورسوله إنما يستعمل للذى هو فى غاية الامتناع كقوله تعالى (**وما ينبغى**

---

(١) رواه أيضاً أبو داود والنسائى والترمذى عن ابن عباس .

(٢) الحديث فى الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها .

(٣) قوله لا ينبغى مبتدأ خبره قوله إنما يستعمل .

للرحمن أن يتخذ ولداً) وقوله تعالى **(وما علمناه الشعر وماينبغى له)** وقوله تعالى **(وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم)** وقوله تعالى **(ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء)** .

ومن الشرك بالله تعالى المبائن لقوله تعالى (إياك نعبد) الشرك به فى اللفظ كالحلف بغيره كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » صححه الحاكم وابن حبان.قال ابن حبان أخبرنا الحسن وسفيان ثنا عبد الله ابن عمر الجعفى ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن الحسن بن عبد الله النخعى عن سعيد بن عبيدة قال كنت عند ابن عمر رضى الله عنه فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر رضى الله عنه ويحك لا تفعل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حلف بغير الله فقد أشرك » *ومن الإشراك قول القائل لأحد من الناس ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال أجعلتنى لله نداً قل ما شاء الله وحده » هذا مع أن الله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة كقوله تعالى **(لمن شاء منكم أن يستقيم)** فكيف بمن يقول أنا متوكل على الله وعليك وأنا فى حسب الله وحسبك ومالى إلا الله وأنت . وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك ، والله لى فى السماء وأنت لى فى الأرض . وزن بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين ما نهى عنه من ما شاء الله وشئت ثم انظر أيها

أفحش يتبين لك أن قائلها أولى بالبعد من (**إياك نعبد**) وبالجواب(١) من النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وإنه إذا كان قد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم نداً فهذا قد جعل من لا يدانيه لله نداً . وبالجملة فالعبادة المذكورة فى قوله تعالى (**إياك نعبد**) هى السجود والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتوبة والنذور والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً والدعاء، كل ذلك محض حق الله تعالى * وفى مسند الإمام أحمد أن رجلا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وآله قد أذنب ذنباً فلما وقف بين يديه قال اللهم إنى أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم «عرف الحق لأهله» وأخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الأسود ابن سريع وقال حديث صحيح . وأما الشرك فى الإرادات والنيات فذلك البحر الذى لاساحل له وقل من ينجو منه فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله (**إياك نعبد**) فان (**إياك نعبد**) هى الحنيفية ملة إبراهيم التى أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهى حقيقة الإسلام (**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**) فاستمسك بهذا الأصل ورد ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه تتحقق معنى الكلمة الآلهية * فان قيل المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى وإنه لعظمته لا ينبغى الدخول عليه إلا

(١) معطوف على قوله بالبعد يعنى أولى بالجواب الخ .

بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية وإنما قصد تعظيمه وقال (إياك نعبد) وإنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وتدخل بي عليه فهو الغاية وهذه وسائل فلم كان هذا القدر موجباً لسخط الله تعالى وغضبه ومخلداً في النار وموجباً لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم وهل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط أم ذلك قبيح في الشرع والعقل يمنع أن تأتي به شريعة من الشرائع وما السر في كونه لايغفر من بين سائر الذنوب كما قال تعالى(**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) قلنا الشرك شركان * شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله * وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته . وأما الشرك الثاني فهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشرنا إليه الآن وسنشبع الكلام فيه إن شاء الله تعالى .

أما الشرك الأول فهو نوعان * أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون في قوله (**وما رب العالمين**) وقال (**ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً**) والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وتعالى وصفاته ولكنه معطل حق التوحيد .

وأصل الشرك وقاعدته التى يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام أحدهما تعطيل المصنوع عن صانعه . الثانى تعطيل الصانع عن كماله الثابت له . الثالث تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد . ومن هذا شرك أهل الوحدة . ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها ويسمونها العقول والنفوس . ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات كالجهمية (١) والقرامطة وغلاة المعتزلة *

النوع الثانى شرك التمثيل وهو شرك من جعل معه إلهاً آخر كالنصارى فى المسيح واليهود فى عزير والمجوس القائلين باسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة ، وشرك القدرية المجوسية مختصر منه وهؤلاء أكثر مشركى العالم وهم طوائف جمة منهم من يعبد أجزاء سماوية . ومنهم من يعبد أجزاء أرضية ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة : ومنهم من يزعم أن إلهه من جملة الآلهة . ومنهم من يزعم أنه إذا خصه بعبادته والتبتل إليه أقبل إليه واعتنى به : ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقانى والفوقانى يقربه إلى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه وتعالى فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل .

---

(١) نسبة إلى جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن أحوز المازنى بمرو فى ملك بنى أمية . وأصل مقالة التعطيل للصفات والأسماء مأخوذ من تلاميذه اليهود والمشركين وضلال الصابئين . وأول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة فى الإسلام الجعد ابن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت إليه . قيل أن الجعد أخذ مقالته بالتعطيل عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر .

فاذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول صلى الله عليه وسلم على من أشرك به تعالى فى الأفعال والأقوال والإرادات كما تقدم ذكره انفتح لك باب الجواب عن السؤال * فنقول اعلم أن حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق : أما الخالق فان المشرك شبه المخلوق بالخالق فى خصائص الإلهية وهى التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى وسوى بين التراب ورب الأرباب فأى فجور وذنب أعظم من هذا .

واعلم أن من خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلا وشرعاً وفطرة فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لا شبيه له ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه الرحمة أنه لا يغفره أبداً * ومن خصائص الإلهية العبودية التى لا تقوم إلا على ساق الحب والذل فمن أعطاهما لغيره فقد شبهه بالله سبحانه وتعالى فى خالص حقه وقبح هذا مستقر فى العقول والفطر لكن لما غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً كما روى ذلك عن الله أعرف الخلق به وبخلقه عموا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً * ومن خصائص الالهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبهه به ، ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به . ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به ، ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به .

ومنها الذبح له فمن ذبح لغيره فقد شبهه به : ومنها حلق الرأس إلى غير ذلك :

هذا فى جانب التشبيه وأما فى جانب التشبه فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه فى ربوبيته وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر تحت أقدام خلقه : وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله عز وجل: العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فى واحد منهما عذبته » (١) وإذا كان المصور الذى يصنع الصور بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لتشبهه بالله فى مجرد الصنعة فما الظن بالمشبه بالله فى الربوبية والالهية كما قال صلى الله عليه وسلم « أشد

---

(١) الحديث أخرجه مسلم من رواية أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة بلفظ « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعنى عذبته » ورواه البرقانى فى مستخرجه من الطريق الذى أخرجه مسلم ولفظه « يقول الله عز وجل العز إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيئاً منهما عذبته » * ورواه أيضاً أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بلفظ « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما فذقته فى النار » : ومعنى نازعنى تخلق بذلك فيصير فى معنى المشارك . قال الخطابى فى المعالم :معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه وتعالى واختص بهما لا يشركه أحد فيهما ولا ينبغى لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل : وضرب الرداء والإزار مثلا فى ذلك يقول والله أعلم كما لا يشرك الانسان فى ردائه وإزاره فكذلك لا يشركنى فى الكبرياء والعظمة مخلوق . والله أعلم .

الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم »(١) وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقول الله عز وجل «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة»(٢) فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منهما . وكذلك من تشبه به تعالى فى الاسم الذى لا ينبغى إلا له كملك الملوك وحاكم الحكام وقاضى القضاة ونحوه، وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بشاهان شاه ملك الملوك لا مالك إلا الله » وفى لفظ « أغيظ رجل عند الله رجل تسمى ملك الأملاك »(٣) وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك

---

(١) الحديث فى الصحيحين « عن عبدالله بن عمران قال سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » ورواه النسائى أيضاً : وهذه الرواية لا يرد عليها شىء : وفى رواية لمسلم « ان من أشد أهل النار يوم القيامة عذاباً » وعليها يرد الاشكال النحوى من رفع اسم ان والجواب عنه . وفى الباب أحاديث كثيرة تفيد تحريم التصوير وعلة النهى ظاهرة : وقد بينا الحكم فى ذلك والرد على من اباحه من المنتسبين إلى العلم فى زماننا هذا فى تعليقنا على عمدة الأحكام فانظره . وقوله أحيوا ما خلقتم أى اجعلوه حيواناً ذا روح وهذا الأمر يسمى أمر تعجيز : ومعنى خلقتم قدرتم وصورتم .

(٢) الحديث فى الصحيحين مطولا عن أبى هريرة : وقوله « ومن أظلم » أى ولا أحد أظلم من قصد حال كونه يخلق أى يصنع : والذرة بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء النملة الصغيرة . والغرض تعجيزهم تارة بخلق الجماد وأخرى بخلق الحيوان .

(٣) هو فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم « قال إن أخنع اسم عند الله عز وجل رجل تسمى ملك الأملاك» زاد ابن أبى شيبة فى روايته « لا مالك إلا الله عز وجل »قال الأشعثى قال سفيان مثل شاهان شاه: وقال أحمد بن حنبل سألت أبا عمرو عن أخنع فقال أوضع .

ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرب إلى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير إليه تعالى فانه يخطئ لكونه شبهه به وأخذ مالا ينبغي أن يكون إلا له فالشرك منعه سبحانه وتعالى حقه فهذا قبيح عقلا وشرعاً ولذلك لم يشرع ولم يغفر لفاعله .

واعلم أن الذى ظن أن الرب سبحانه وتعالى لا يسمع له أو لا يستجيب له إلا بواسطة تطلعه على ذلك أو تسأل ذلك منه فقد ظن بالله ظن السوء فانه إن ظن أنه لا يعلم أو لا يسمع إلا باعلام غيره له وإسماعه فذلك نفى لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه وكفى بذلك ذنباً . وإن ظن أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يلينه ويعطفه عليهم فقد أساء الظن بأفضال ربه وبره وإحسانه وسعة جوده * وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به ولهذا يتوعدهم فى كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد كما قال الله تعالى (**الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرةالسوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءتمصيراً**) وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام **(أئفكاً آلهة دون الله تريدون.فماظنكم برب العالمين)** أى فما ظنكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره وظننتم أنه يحتاج فى الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون باباً للحوائج إليه ونحو ذلك . وهذا بخلاف الملوك فانهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين . فأما من لا يشغله سمع عن سمع وسبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده.فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى

فقد ظن به أقبح الظن ومستحيل أن يشرعه لعباده بل ذلك يمتنع فى العقول والفطر .

واعلم أن الخضوع والتأله الذى يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح فى نفسه كما قررناه لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبداً للملك العظيم الرحيم القريب المجيب ومملوكاً له كما قال تعالى (**ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم**) أى إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه فى رزقه فكيف تجعلون لى من عبيدى شركاء فيما أنا منفرد به وهو الإلهية التى لا تنبغى لغيرى ولا تصلح لسواى فمن زعم ذلك فما قدرنى حق قدرى ولا عظمنى حق تعظيمى. وبالجملة فما قدر الله حق قدره من عبد معه من ظن أنه يوصل إليه قال تعالى (**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً**) الآية إلى أن قال(**ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز**) وقال تعالى (**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون**) فما قدر القوى العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل .

واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت أصل ضلالهم راجعاً إلى شيئين . أحدهما الظن بالله ظن السوء . والثانى أنهم لم يقدروا الرب حق قدره. فلم يقدره حق قدره من ظن أنه لم يرسل رسولا ولا أنزل كتاباً بل ترك الخلق سدى وخلقهم عبثا

ولا قدره حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم وأخرجهماعن خلقه وقدرته ،ولا قدر الله حق قدره أضداد هؤلاء الذين قالوا أنه يعاقب عبده على ما لم يفعله بل يعاقبه على فعله سبحانه وتعالى . وإذا استحال فى العقول أن يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين . وقول هؤلاء شر من أشباه المجوس القدرية الأذلين .
ولا قدره حق قدره من نفى رحمته ورضاه ومحبته وغضبه وحكمته مطلقاً وحقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختيارياً بل أفعاله مفعولات منفصلةعنه . ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولداً أو جعله يحل فى مخلوقاته أو جعله عين هذا الوجود . ولا قدره حق قدره من قال أنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع أولياء رسوله وأهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح فى الرب تعالىالله عن قول الرافضة . وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى فى قول رب العالمين أنه أرسل ملكاً ظالماً فادعى النبوة وكذب على الله ومكث زمناً طويلا يقول أمرنى بكذا ونهانى عن كذا ويستبيح دماء أبناء الله وأحبائه والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه ويقيم دولته على الظهور والزيادة ويذل أعداءه أكثر من ثمانمائة عام . فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرافضة تجد القولين سواء . ولا قدره حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى ولا يبعث من فى القبور ليبين لعباده الذى كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ؟

وبالجملة فهذا باب واسع والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فانما عبد شيطاناً قال تعالى (**ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان**) فما عبد أحد من بنى آدم كائناً من كان إلا وقد وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود فى حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد فى تعظيمه له واشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى الشيطان ولهذا قال تعالى (**ويوم نحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس**) أى من إغوائهم وإضلالهم وقال (**وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم**) فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذى لاجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا يغفر بغير التوبة منه وأنه موجب للخلود فى العذاب وأنه ليس تحريمه قبحه بمجرد النهى عنه فقط بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع لعباده عبادة إله غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله ؟

واعلم أن الناس فى عبادة الله تعالى والاستعانة به أقسام أجلها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها ، فعبادة الله غاية مرادهم ، وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم ولهذا كان أفضل ما يسأل الرب تعالى الاعانة على مرضاته وهو الذى علمه النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل « فقال يا معاذ والله إنى أحبك فلا تدع أن تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك

وشكرك وحسن عبادتك (١) فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالى . ويقابل هؤلاء القسم الثانى المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة لهم ولا استعانة بل ان سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته والله سبحانه وتعالى يسأله من فى السموات والأرض ويسأله أولياؤه وأعداؤه فيمد هؤلاء وهؤلاء.وأبغض خلق الله إبليس ومع هذا أجاب سؤله وقضى حاجته ومتعه بها ولكن لما لم تكن عوناً على مرضاته كانت زيادة فى شقوته وبعده . وهكذا كل من سأله تعالى استعان به على مالم يكن عوناً له على طاعته كان سؤاله مبعدا له عن الله فليتدبر العاقل هذا وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه ويكون منعه منها حماية له وصيانة والمعصوم من عصمه الله والإنسان على نفسه بصيرة .

وعلامة هذا أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الأمر إذا رآه سبحانه وتعالى يقضى حوائج غيره يسىء ظنه به تعالى وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر . وامارة ذلك حمله على الأقدار وعتابه فى الباطن لها ولقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف فى قوله تعالى (**فأما الإنسان إذاما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدرعليه رزقه فيقول ربى أهانن كلا**) أى ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته فقد أكرمته وما ذاك

---

(١) أخرجه أبو داود وأحمد بن حنبل ورواه النسائى بسند قوى على ما قاله ابن حجر فى كتابه بلوغ المرام من أدلة الأحكام .

لكرامته على ولكنه ابتلاء منى وامتحان له أيشكرنى فأعطيه فوق ذلك أم يكفرنى فأسلبه إياه وأحوله عنه لغيره وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذاك من هوانه على ولكنه ابتلاء وامتحان منى له، أيصبر فأعطيه أضعاف ما فاته أم يسخط فيكون حظه السخط ، وبالجملة فاخبر تعالى أن الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره فانه سبحانه وتعالى يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لا لهوانه عليه وإنما يكرم سبحانه وتعالى من يكرم من عباده بأن يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانته . فغاية سعادة الأبد فى عبادة الله والاستعانة به عليها .

القسم الثالث من له من نوع عبادة بلا استعانة وهؤلاء نوعان : أحدهما أهل القدر القائلون بأنه سبحانه وتعالى قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف وأنه لم يبق فى مقدوره إعانة له على الفعل فانه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسول وتمكينه من الفعل فلم يبق بعدها إعانة مقدورة يسأله إياها وهؤلاء مخذولون موكلون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريقة الاستعانة والتوحيد . قال ابن عباس رضى الله عنهما الايمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض توحيده . النوع الثانى من لهم عبادة وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر وأنها بدون المقدور كالموت الذى لا تأثير له بل كالعدم الذى لا وجود له وأن القدر كالروح

المحرك لها والمعول على المحرك الأول فلم تنفذ بصائرهم من السبب إلى المسبب ومن الآلة إلى الفاعل فقل نصيبهم من الاستعانة . وهؤلاء لهم نصيب من التصرف بحسب استعانتهم وتوكلهم ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم ولو توكل العبد على الله حق توكله فى إزالة جبل عن مكانه لأزاله .

فان قيل ما حقيقة الاستعانة عملا قلنا هى التى يعبر عنها بالتوكل وهى حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فتوجب اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وثقة به فتصير نسبة العبد إليه تعالى كنسبة الطفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته فلو دهمه ما عسى أن يدهمه من الآفات لم يلتجىء إلى غيرهما . فان كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة **(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه)** أى كافيه . .

القسم الرابع من له استعانة بلاعبادة وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر والنفع ولم يدر بما يحبه ويرضاه فتوكل عليه فى حظوظه فأسعفه بها ، وهذا لا عاقبة له سواء كانت أموالا أو رياسات أو جاهاً عند الخلق أو نحو ذلك فذلك حظه من دنياه وآخرته .

واعلم أن العبد لا يكون متحققاً بعبادة الله تعالى إلا بأصلين *

أحدهما متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم * والثانى اخلاص العبودية. والناس فى هذين الأصلين على أربعة أقسام : أهل الاخلاص والمتابعة فأعمالهم كلها لله وأقوالهم ومنعهم وإعطاؤهم وحبهم وبغضهم كل ذلك لله تعالى لا يريدون من العباد جزاء ولا شكورا أعدوا الناس كأصحاب القبور لا يملكون ضرا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا . فانه لا يعامل أحداً من الخلق إلا لجهله بالله وجهله بالخلق . والاخلاص هو العمل الذى لا يقبل الله من عامل عملا صواباً عارياً منه وهو الذى ألزم عباده به إلى الموت قال الله تعالى (**ليبلوكم أيكم أحسن عملا**) وقال (**إناجعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا**) وأحسن العمل أخلصه وأصوبه . فالخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو العمل الصالح المذكور فى قوله تعالى (**ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن**)وهو العمل الحسن فى قوله تعالى(**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً**) وهو الذى أمر به النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » (١) وكل عمل بلا متابعة فانه لا يزيد عامله إلا بعداً

---

(١) خرجه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها بلفظ « قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » وفى رواية لمسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وأخرجه أيضاً أبو داود وابن ماجة . وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام فكل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث فى الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس فى الدين فى شيء» هذا منطوق الحديث ومفهومه، كل عمل عليه أمره فهو غير مردود. والمراد=

من الله تعالى فان الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالأهواء والآراء . *

الضرب الثانى من لا إخلاص له ولا متابعة له وهؤلاء شرار الخلق وهم المتزينون بأعمال الخير يراءون بها الناس وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة فانهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا : وفى أضراب هؤلاء نزل قوله تعالى(**لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم**)

الضرب الثالث من هو مخلص فى أعماله لكنها على غير متابعة الأمر كجهال العباد والمنتسبين إلى الزهد والفقر وكل من عبد الله على غير مراده . والشأن ليس فى عبادة الله فقط بل فى عبادة الله كما أراد الله . ومنهم من يمكث فى خلواته تاركاً للجمعة ويرى ذلك قربة ويرى مواصلة صوم النهار والقيام بالليل قربة وأن صيام يوم الفطر قربة وأمثال ذلك .

الضرب الرابع من أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله تعالى كطاعات المرائين . وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم ويحج ليقال ويقرأ ليقال ويعلم ويؤلف ليقال فهذه أعمال

=بأمره ههنا دينه وشرعه .وفيه إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغى أن تكون تحت أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها فمن كان عمله جارياً تحت أحكام الشريعة موافقاً لها فهو مقبول ومن كان خارجاً عن ذلك فهو مردود : والله أعلم .

صالحة لكنها غير مقبولة قال تعالى (**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء**) فلم يؤمر الناس إلا بالعبادة على المتابعة والاخلاص فيها ، والقائم بهما هم أهل(**إياك نعبد وإياك نستعين**)؛

ثم أهل مقام(**إياك نعبد**) لهم فى أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالايثار والتخصيص أربعة طرق وهم فى ذلك أربعة أصناف * الصنف الأول عندهم أنفع العبادات وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها قالوا لأنه أبعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد والأجر على قدر المشقة ورووا حديثاً ليس له أصل « أفضل الأعمال أحمزها » أى أصعبها وأشقها وهؤلاء هم أرباب المجاهدات والجور على النفوس،قالوا وانما تستقيم النفوس بذلك إذ طبعها الكسل والمهاونة والاخلاد إلى الراحة فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق * الصنف الثانى قالوا أفضل العبادات وأنفعها التجرد والزهد فى الدنيا والتقلل منها غاية الامكان واطراح الاهتمام بها وعدم الاكتراث لما هو منها . ثم هؤلاء قسمان فعوامهم ظنوا أن هـــذا غاية فشمروا إليه وعملوا عليه وقالوا هو أفضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد فى الدنيا غاية كل عبادة ورأسها وخواصهم رأوا هذا مقصوداً لغيره وأن المقصود به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق فى محبته والانابة إليه والتوكل عليـــه والاشتغال بمرضاته فرأوا أفضل العبادات دوام ذكره بالقلب واللسان ، ثم هؤلاء قسمان فالعارفون إذا جاء الأمر والنهى بادروا إليه ولو فرقهم وأذهب

جمعهم والمنحرفون منهم يقولون المقصود من القلب جمعيته فاذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا إليه ويقولون .

يطالب بالأوراد من كان غافلا فكيف بقلب كل أوقاته ورد

ثم هؤلاء أيضاً قسمان منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته . ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل ويعلم العلم النافع لجمعيته . والحق أن الجمعية حظ القلب ، واجابة داعى الله حق الرب فمن آثر حق نفسه على حق ربه فليس من العبادة فى شىء *

الصنف الثالث رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعد فرأوه أفضل من النفع القاصر فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم « الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله »(١) قالوا وعمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعد إلى الغير فاين أحدهما من الآخر ، ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب : وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلى « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم » (٢) وقال « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه

---

(١) رواه الطبرانى فى معجمه .

(٢) رواه ابن عبد البر فى كتاب جامع بيان العلم وفضله عن السهل بن سعد ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن أبى رافع بلفظ « لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً » (١) وقال « إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير » (٢) وقال « ان العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى البحر والنملة فى جحرها » قالوا وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذى تسبب فيه . والأنبياء عليهم الصلاة السلام إنما بعثوا بالاحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم فى معاشهم ومعادهم لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع ولهذا أنكر النبى صلى الله عليه وسلم على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس ، ورأى هؤلاء أن التفرغ لنفع الخلق أفضل من الجمعية على الله بدون ذلك ،قالوا ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الأمور الفاضلة .

الصنف الرابع قالوا أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه وتعالى واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت

---

(١) هو فى صحيح مسلم عن أبى هريرة « أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » .

(٢) الحديث رواه الترمذى عن أبى امامة مطولا وقال حديث حسن صحيح : ورواه البزار من حديث عائشة مختصراً « قال معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان فى البحر » وقد ورد فى مدح العلم والعلماء أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر : والمراد بالعلم العلم النافع الذى تظهر آثاره بالمتصف به عملا وليس المراد به علم أكثر أهل الزمان المجرد عن العمل به والاخلاص .

ووظيفته ، فأفضل العبادات فى وقت الجهاد الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما فى حالة الأمن . والأفضل فى وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به . والأفضل فى وقت السحر الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء . والأفضل فى وقت الآذان ترك ما هو فيه من الأوراد والاشتغال باجابة المؤذن . والأفضل فى أوقات الصلوات الخمس الجد والاجتهاد فى إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها فى أول الوقت والخروج إلى المسجد . والأفضل فى أوقات ضرورة المحتاج المبادرة إلى مساعدته بالجاه والمال والبدن . والأفضل فى السفر مساعدة المحتاج وإعانة الرفقة وإيثار ذلك على الأوراد والخلوة . والأفضل فى وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك . والأفضل فى وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد فى التضرع والدعاء والذكر . والأفضل فى أيام عشر ذى الحجة الاكثار من التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد وهو أفضل من الجهاد غير المتعين والأفضل فى العشرة الأواخر من رمضان لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف والإعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى أنه أفضل من الاقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء . والأفضل فى وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك . والأفضل فى وقت

نزول النوازل وإيذاء الناس لك اداء واجب الصبر مع خلطتك لهم والمؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أو إيذائهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم . وخلطتهم فى الخير أفضل من عزلتهم فيه وعزلتهم فى الشر أفضل من خلطتهم فيه . فان علم أنه إذا خالطهم أزاله (١) وقلله فخلطتهم خير من اعتزالهم وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق والأصناف التى قبلهم أهل التعبد المقيد فمتى خرج أحدهم عن الفرع الذى تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله تعالى على وجه واحد، وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض فى تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضات الله تعالى : إن رأيت العلماء رأيته معهم وكذلك فى الذاكرين ، والمتصدقين وأرباب الجمعية وعكوف القلب على الله فهذا هو الغذاء الجامع للسائر إلى الله فى كل طريق والوافد عليه مع كل فريق . واستحضر ههنا حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقول النبى صلى الله عليه وسلم بحضوره « هل منكم أحد أطعم اليوم مسكيناً قال أبو بكر أنا قال هل منكم أحد أصبح اليوم صائماً قال أبو بكر أنا قال هل منكم أحد عاد اليوم مريضاً قال أبو بكر أنا قال هل منكم أحـــد اتبع اليوم جنازة قال أبو بكر أنا » (٢) الحديث ، هذا الحديث

(١) قوله ازاله وقلله أى الشر المتقدم ذكره قبل .

(٢) الحديث أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه وأورده الحافظ عبد العظيم المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب وسكت عنه . ولفظه « عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أصبح منكم اليوم صائماً فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا فقال من أطعم منكم مسكيناً فقال أبو بكر أنا فقال من تبع منكم اليوم جنازة فقال أبو بكر أنا فقال من عاد منكم اليوم مريضاً فقال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اجتمعت هذه الخصال قط فى رجل إلا دخل الجنة » .

روى من طريق عبد الغنى بن أبى عقيل حدثنا نعيم ابن سالم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى جماعة من أصحابه فقال من صام اليوم قال أبو بكر أنا قال من تصدق اليوم قال أبو بكر أنا قال من عاد اليوم مريضاً قال أبو بكر أنا قال من شهد اليوم جنازة قال أبو بكر أنا قال وجبت لك » يعنى الجنة . ونعيم بن سالم وان تكلم فيه لكن تابعه سلمة ابن وردان وله أصل صحيح من حديث مالك عن محمد ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبى هريرة رضى الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة نودى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد نودى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله ما على من يدعى من هذه الأبواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم » (١) هكذا رواه عن مالك موصولا مسندا عن يحي بن يحي ومعن بن عيسى وعبدالله بن المبارك . ورواه يحي بن بكثير وعبد الله بن يوسف عن مالك عن ابن شهاب عن حميد مرسلا : وليس هو عند القعنبى لا مرسلا ولا مسندا . ومعنى قوله « من أنفق زوجين » يعنى شيئين من نوع واحد نحو درهمين أو دينارين

(١) خرجه البخارى فى صحيحه فى غير موضع ، ومسلم والنسائى والترمذى .

أو فرسين أو قميصين : وكذلك من صلى ركعتين أو مشى فى سبيل الله تعالى خطوتين أو صام يومين ونحو ذلك : وإنما أراد والله أعلم أقل التكرار وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البر لأن الاثنين أقل الجمع فهذا (١) كالغيث أين وقع نفع صحب الله بلا خلق وصحب الخلق بلا نفس إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلى عنهم وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها فما أغربه بين الناس وما أشد وحشته منهم . وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه إليه .

واعلم أن للناس فى منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقاً أربعة وهم فى ذلك أربعة أصناف . الصنف الأول نفاة الحكم والتعليل الذين يردون الأمر إلى نفس المشيئة وصرف الارادة فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن يكون سبباً لسعادة فى معاش ولا معاد ولا سبباً لنجاة وإنما القيام بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة كما قالوا فى الخلق لم يخلق لغاية ولا لعلة هى المقصودة به ولا لحكمة تعود إليه منه وليس فى المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسبباتها وليس فى النار سبب للاحراق ولا فى الماء قوة الاغراق ولا التبريد . وهكذا الأمر عندهم سواء لا فرق بين الخلق والأمر لا فرق فى نفس الأمر بين المأمور والمحظور ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذا من غير أن يقوم بالمأمور صفة

(١) اسم الاشارة راجع إلى الصنف الرابع العامل فى كل وقت بالأفضل فى ذلك الوقت .

تقتضى حسنه ولا بالمنهى عنه صفة تقتضى قبحه : ولهذا الأصل لوازم فاسدة وفروع كثيرة وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والاخلاص ونحو ذلك تكاليف أى كلفوا بها ولو سمى مدعى محبة ملك من الملوك أو غيره ما يأمره به تكليفاً لم يعد محباً له * وأول من صدرت عنه هذه المقالة الجعد بن درهم .

الصنف الثانى القدرية (١) النفاة الذين يثبتون نوعاً من الحكمة

---

(١) اعلم أن أول بدعة ظهرت فى الاسلام بدعة القدر وبدعة الارجاء وبدعة التشيع والخوارج . وأول من تكلم فى القدر معبد الجهنى وهذه البدع ظهرت فى القرن الثانى والصحابة موجودون ، وقد أنكروا على أهلها ، ثم ظهرت بدعة الاعتزال ولم يزل المسلمون على النهج الأول ولزوم ظاهر السنة وما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم إلى ان حدثت الفتن بين المسلمين والبغى على أئمة الدين وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء وكثرت المسائل والواقعات والرجوع إلى العلماء فى المهمات . فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاستنباط والنتائج وتمهيد القواعد : وإنتاج القضايا والفوائد . وأخذوا فى التبويب والتفصيل والترتيب والتأصيل : فأسست فرقة المعتزلة قواعد الخلاف . ونهجت منهج الفرقة والانحراف . وكان أول من اعتزل عن مجلس سيد التابعين الحسن البصرى واصل بن عطاء رئيس الطائفة المعتزلة . ومذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور . وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التى هى بكل خير فائزة ولكل مكرمة راجية من الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك . فمذهب السلف حق بين باطلين . وهدى بين ضلالين . قال العلامة ابن تيمية : مذهب السلف أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير تحريف ولا تعطيل . ومن غير تكييف ولا تمثيل . فالمعطل يعبد عدما ، والممثل يعبد صنماً ، والمسلم يعبد رب الأرض والسماء .

والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع إليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم أن العبادات شرعت أثماناً لما يناله العباد من الثواب والنعيم · وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره قالوا ولهذا يجعلها سبحانه وتعالى عوضاً كقوله(**ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون**) (**هل تجزون إلا ما كنتم تعملون**) (**ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**) (**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**) وفى الصحيح « إنما هى أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها » قالوا وقد سماها جزاء وأجراً وثواباً لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله أى يرجع إليه · قالوا ويدل عليه الموازنة فلولا تعلق الثواب بالأعمال عوضاً عليها لم يكن للموازنة معنى . وهاتان الطائفتان متقابلتان . فالجبرية لم تجعل للأعمال ارتباطاً بالجزاء ألبتة وجوزت أن يعذب الله من أفنى عمره فى الطاعة وينعم من أفنى عمره فى مخالفته وكلاهما سواء بالنسبة إليه والكل راجع إلى محض المشيئة * والقدرية أوجبت عليه سبحانه وتعالى رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منة الصدقة عليه بلا ثمن فجعلوا تفضله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد وإعطائه ما يعطيه أجره على عمله أحب إلى العبد من أن يعطيه فضلا منه بلا عمل ولم يجعلوا للأعمال تأثيراً فى الجزاء ألبتة. والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم وهو أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب .

والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله وليست قدراً لجزائه وثوابه بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكراً على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه وتعالى فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكان رحمته لهم خيراً من أعمالهم . وتأمل قوله تعالى **(وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون)** مع قوله صلى الله عليه وسلم « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله » (١) نجد الآية تدل على أن الجنان بالأعمال والحديث ينفى دخول الجنة بالأعمال ولا تنافى بينهما لأن توارد النفى والاثبات ليس على محل واحد فالمنفى باء الثمنية واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال رداً على القدرية المجوسية التى زعمت أن الفضل بالثواب ابتداء متضمن لتكدير المنة . والباء المثبتة التى وردت فى القرآن هى باء السببية رداً على القدرية الجبرية الذين يقولون لا ارتباط بين الأعمال وجزائها ولا هى أسباب لها وإنما غايتها أن تكون إمارة .

---

(١) الحديث فى الصحيحين . ولفظ البخارى عن أبى هريرة « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول لن يدخل أحداً عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيراً وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب » . فمذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب بل ثبوتهما بالشريعة حتى لو عذب الله تعالى جميع المؤمنين كان عدلا منه ولكنه أخبر بأنه لا يفعل بل يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين . وقد روى أبو داود وابن ماجة من حديث أبى بن كعب فى ذكر القدر (وفيه) « لو أن الله عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته لهم » الحديث . والله أعلم .

والسنة النبوية هى أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافى ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها . وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعاً من الحق فانها ارتكبت لأجله نوعاً من الباطل بل أنواعاً فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه .

الصنف الثالث الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النفس السبعية والبهيمية فلو عطلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها . وهذا يقوله طائفتان : إحداهما من يقرب إلى الاسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار . والطائفة الثانية من تفلسف من صوفية الاسلام ويقرب إلى الفلاسفة فانهم يزعمون أن العبادات رياضيات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد . ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى فاذا حصل لها ذلك بقى متحيراً فى حفظ أوراده و الاشتغال بالوارد عنها . ومنهم من يوجب القيام بالأوراد وعدم الاخلال بها * وهم صنفان أيضاً : أحدهما من يقول بوجوبها حفاظاً للقانون وضبطاً للناموس . والآخرون يوجبونها حفظاً للوارد وخوفاً من تدرج النفس بمفارقتها إلى حالها الأولى من البهيمية . فهذه نهاية إقدامهم فى حكمة العبادة وما شرعت لأجله ولا تكاد تجد فى

كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاثة أو مجموعها .

والصنف الرابع هم القائلون بالجمع بين الخلق والأمر والقـــدر والسبب فعندهم أن سر العبادة وغايتها مبنى على معرفة حقيقة الالهية ومعنى كونه سبحانه وتعالى إلهاً وأن العبادة موجب الالهية وأثرها ومقتضاها وارتباطها كارتباط متعلق الصفات بالصفات وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة ، والأصوات بالسمع ، والاحسان بالرحمة ، والاعطاء بالجود . فعندهم من قام بمعرفتها على نحو الذى فسرناها به لغة وشرعاً مصدراً ومورداً استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها به وعلم أنها هى الغاية التى خلقت لها العباد ولها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وخلقت الجنة والنار . وقد صرح سبحانه وتعالى بذلك فى قوله(**وما خلقت الجن والإنس إلاليعبدون**) فالعبادة هى التى ما وجدت الخلائق كلها إلا لأجلها كما قال تعالى (**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**) أى مهملا قال الشافعى رحمه الله لا يؤمر ولا ينهى. وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب وهماتفسيران صحيحان فان الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهى.والأمر والنهى هو طلب العبادة وإرادتها . وحقيقة العبادة امتثالها : ولهذا قال تعالى (**ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا**) وقال تعالى(**وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق**) (**وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل**

نفس بما كسبت) فأخبر الله تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه . فاذا كانت السموات والأرض إنما خلقت لهذا وهو غاية الخلق فكيف يقال أنه لا غاية له ولا حكمة مقصودة أو أن ذلك بمجرد استئجار العمال حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمنة ، أو لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتياضها لمخالفة العوائد .

وإذا تأمل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال وبين ما دل عليه صريح الوحى علم أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره . فأصل العبادة محبة الله بل إفراده تعالى بالمحبة فلا يحب معه سواه وإنما يحب ما يحبه لأجله وفيه كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته لأن محبتهم من تمام محبته وليست كمحبة من اتخذ من دونه أنداداً يحبهم كحبه . وإذا كانت المحبة له هى حقيقة عبوديته وسرها فهى إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه فعند اتباع الأمر والنهى تتبين حقيقة العبودية والمحبة . ولهذا جعل سبحانه وتعالى اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم علماً عليها وشاهداً لها كما قال تعالى (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**) فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله تعالى وشرطاً لمحبة الله ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع . فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول ، ولا يكفى ذلك حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . ومتى كان عنده شىء أحب إليه

منهما فهو الاشراك الذى لا يغفره الله . قال تعالى(**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين**) وكل من قدم قول غير الله على قول الله أو حكم به أو حاكم إليه فليس ممن أحبه ، لكن قد يشتبه الأمر على من يقدم قول أحد أوحكمه أو طاعته على قوله ظناً منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيطيعه ويحاكم إليه ويتلقى أقواله كذلك فهذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك .

وأما إذا قدر على الوصول إلى رسول صلى الله عليه وسلم وعرف أن غير من اتبعه أولى به مطلقاً أو فى بعض الأمور كمسألة معينة ولم يلتفت إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ولا إلى من هو أولى به فهذا يخاف عليه . وكل ما يتعلل به من عدم العلم أو عدم الفهم أو عدم إعطاء آلة الفقه فى الدين أو الاحتجاج بالأشباه والنظائر أو بأن ذلك المتقدم كان أعلم منى بمراده صلى الله عليه وسلم فهى كلها تعللات لا تفيد .

هذا مع الاقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم إلا أن ينازع فى هذه القاعدة فتسقط مكالمته وهذا هو داخل تحت الوعيد فان استحل مع ذلك ثلب من خالفه وقرض عرضه ودينه بأسنانه وانتقل

من هذا إلى عقوبته أو السعى فى أذاه فهو من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين .

واعلم أن العبادة أربع قواعد وهى التحقق بما يحب الله ورسوله ويرضاه وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح. فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع . فأصحاب العبادة حقاً هم أصحابها * فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله تعالى عن نفسه وأخبر رسوله عن ربه من أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه وما أشبه ذلك . وقول اللسان الاخبار عنه بذلك والدعاء إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام بذكره تعالى وتبليغ أمره . وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والانابة والخوف والرجاء والاخلاص والصبر على أوامره ونواهيه وإقراره والرضاء به وله وعنه والموالاة فيه والمعاداة فيه والاخبات إليه والطمأنينة ونحو ذلك من أعمال القلوب التى فرضها آكد من فرض أعمال الجوارح، ومستحبها إلى الله تعالى أحب من مستحب أعمال الجوارح . وأما أعمال الجوارح فكالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والاحسان إلى الخلق ونحو ذلك . فقول العبد فى صلاته (**إياك نعبد**) التزام أحكام هذه الأربعة وإقرار بها . وقوله (**وإياك نستعين**) طلب الاعانة عليها والتوفيق لها . وقوله(**إهدنا الصراط المستقيم**) متضمن للأمرين على التفصيل وإلهام القيام بهما وسلوك طريق السالكين إلى الله والله الموفق بمنه وكرمه والحمد لله وحده وصلى الله

على من لا نبي بعده وآله وصحبه ووارثيه وحزبه .

تم الكتاب والحمد لله أولا وآخراً

فائـــدة

قد تقدم للمؤلف المقريزى كلام فى حلق الرأس وأجمل القول فى ذلك ولما كان الحكم فى ذاته فيه تفصيل أحببنا أن نذكر هنا ما أورده الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم فى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد . قال فى كتاب الطب من الجزء الثانى فى علاج القمل الذى فى الرأس وإزالته . وحلق الرأس ثلاثة أنواع أحدها نسك وقربة والثانى بدعة وشرك والثالث حاجة ودواء . فالأول الحلق فى أحد النسكين الحج والعمرة . والثانى حلق الرأس لغير الله سبحانه وتعالى كما يحلقها المريدون لشيوخهم فيقول أحدهم أنا حلقت رأسى لفلان وأنت حلقته لفلان وهذا بمنزلة أن يقول سجدت لفلان فان حلق الرأس خضوع وعبودية وذل ولهذا كان من تمام الحج حتى أنه عند الشافعى رحمه الله تعالى ركن من أركانه لا يتم إلا به فان وضع النواصى بين يدى ربها خضوع لعظمته وتذلل لعزته وهو من أبلغ أنواع العبودية . ولهذا كانت العرب إذا أرادت إذلال الأسير منهم وعتقه حلقوا رأسه وأطلقوه . فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية الذين أساس مشيختهم على الشرك والبدعة فأرادوا من مريديهم أن يتعبدوا لهم فزينوا لهم حلق رءوسهم لهم كما زينوا لهم السجود لهم وسموه بغير اسمه وقالوا هو وضع الرأس بين يدى

الشيخ ، ولعمر الله إن السجود لله هو وضع الرأس بين يديه سبحانه وتعالى وزينوا لهم أن ينذروا لهم ويتوبوا لهم ويحلفوا بأسمائهم .

وهذا هو اتخاذهم أرباباً من دون الله قال تعالى(**وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون**) وأشرف العبودية عبودية الصلاة وقد تقاسمها الشيوخ والمتشبهون بالعلماء والجبابرة فأخذ الشيوخ منها أشرف ما فيها وهو السجود · وأخذ المتشبهون بالعلماء الركوع فاذا لقى بعضهم بعضاً ركع له كما يركع المصلى لربه سواء وأخذ الجبابرة منهم القيام فيقوم الأحرار والعبيد على رؤوسهم عبودية لهم وهم جلوس . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الأمور الثلاثة على التفصيل فتعاطيها مخالفة صريحة له · فنهى عن السجود لغير الله وقال « لا ينبغى لأحد أن يسجد لأحد » وأنكر على معاذ لما سجد له وقال « مه » وتحريم هذا معلوم من دينه ضرورة وتجويز من جوزه لغير الله مراغمة لله ورسوله وهو من أبلغ أنواع العبودية فاذا جوز هذا المشرك هذا النوع اليسير فقد جوز عبودية غير الله . وقد صح «أنه قيل له الرجل يلقى أخاه أينحنى له قال لا ، قيل : أيلزمه ويقبله قال لا قيل أيصافحه قال نعم» وأيضاً فالانحناء عند

التحية سجود . ومنه قوله تعالى (وادخلوا الباب سجداً) أى منحنين وإلا فلا يمكن الدخول على الجباه . وصح عنه النهى عن القيام وهو جالس كما يعظم الأعاجم بعضها بعضاً (١) حتى منع من ذلك فى الصلاة وأمرهم إذا صلى جالساً أن يصلوا جلوساً وهم أصحاء لا عذر لهم لئلا يقوموا على رأسه وهو جالس (٢) مع أن قيامهم لله فكيف إذا كان القيام تعظيما وعبودية لغيره سبحانه وتعالى .

والمقصود أن النفوس الجاهلة الضالة أسقطت عبودية الله سبحانه وتعالى وأشركت فيها من تعظمه من الخلق فسجدت لغير الله وركعت له وقامت بين يديه قيام الصلاة وحلفت بغيره ونذرت لغيره وحلفت لغيره وذبحت لغيره وطافت بغير بيته وعظمته بالحب والخوف والرجاء والطاعة كما يعظم الخالق بل أشد وسوت بين من يعبده من المخلوقين برب العالمين .

---

(١) الحديث رواه أبو داود وابن ماجه : قال الحافظ عبد العظيم المنذرى واسناده حسن أبو غالب فيه واسمه حزور ويقال نافع ويقال سعيد بن الحزور فيه كلام طويل ذكرته فى مختصر السنن وغيره والغالب عليه التوثيق وقد صحح له الترمذى وغيره : اه : ورواه أيضاً الترمذى فى الشمائل : وفى مشروعية القيام للناس خلاف والصحيح التفصيل والجمع بين الأحاديث : وقد ألف الامام النووى فى ذلك رسالة وذكرها صاحب المدخل فى كتابه وتعقبه فى كثير منها ورد كلامه فى جواز القيام فعليك بمطالعته فانه يغنيك .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى الزبير عن جابر « أنهم لما صلوا خلفه قعوداً قال:فلما سلم قال أن كدتم آنفاً تفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا » .

هؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل وهم الذين بربهم يعدلون وهم الذين يقولون وهم فى النار مع آلهتهم يختصمون(**تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**) وهم الذين قال فيهم (**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله**) وهذا كله من الشرك والله لا يغفر أن يشرك به فهذا فصل معترض فى هديه فى حلق الرأس ولعله أهم مما قصد الكلام فيه والله أعلم .

الرسالة الرابعة

تطهير الاعتقاد
من أدران الالحاد

للشيخ الأمام العلامة محمد بن اسماعيل الامير اليمنى الصنعانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد ، حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد ، من اتخاذ الأنداد ، فلا يتخذون له ندا ، ولا يدعون معه أحداً ، ولا يتكلون إلا عليه ، ولا يفزعون فى كل حال إلا إليه ، ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى ، ولا يتوصلون إليه بالشفعا (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رباً معبوداً ، وأن محمداً عبده ورسوله الذى أمره أن يقول (قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله) وكفى بالله شهيداً ، صلى الله عليه وعلى آله والتابعين له فى السلامة من العيوب ، وتطهير القلوب من اعتقاد كل شيء يشوب .

(وبعد) فهذا (تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد) وجب على تأليفه وتعين على ترصيفه ، لما رأيته وعلمته من عموم اتخـــاذ العباد الأنداد ، فى الأمصار والقرى وجميع البلاد ، من اليمن والشام ونجد وتهامة وجميع ديار الاسلام ، وهو الاعتقاد فى القبور ، وفى الأحياء ممن يدعى العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور

لا يحضر للمسلمين مسجداً ، ولا يرى لله راكعاً ولا ساجداً ، ولا يعرف السنة ولا الكتاب ، ولا يهاب البعث ولا لحساب ، فوجب على أن أنكر ما أوجب الله إنكاره ، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره ، فاعلم أن ههنا أصولا هى من قواعد الدين ، ومن أهم ما تجب معرفته على الموحدين .

(الأصل الأول) أنه قد علم من ضرورة الدين ، أن كل ما فى القرآن فهو حق لا باطل ، وصدق لا كذب ، وهدى لا ضلالة ، وعلم لا جهالة ، ويقين لاشك فيه . فهذا الأصل لا يتم إسلام أحد ولا إيمانه إلا بالإقرار بهذا الأصل (١) وهذا أمر مجمع عليه لا خلاف فيه .

(الأصل الثانى) أن رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيدالعبادة . وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله (يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ألا تعبدوا إلا الله – أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وهذا هو الذى تضمنه قول لا إله إلا الله . فانما دعت الرسل أممها إلى قول هذهالكلمةواعتقادمعناهالا مجرد قولها باللسانومعناهاهو إفراد الله بالالهية والعبادة والنفى لما يعبد من دونه والبراءة منه . وهذا الأصل لامرية فيما تضمنه ولا شك فيه وأنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه .

---

(١) الأولى الاضمار فيقول : إلا به .

(الأصل الثالث) أن التوحيد قسمان (القسم الأول) توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها ، ومعناها أن الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم ، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكاً بل هم مقرون به كما سيأتى فى الأصل الرابع .

(والقسم الثانى) توحيد العبادة ومعناه إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتى بيانها ، فهذا هو الذى جعلوا لله فيه الشركاء ، ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى ، فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول ، ودعاء المشركين إلى الثانى ، مثل قولهم فى خطاب المشركين (أفى الله شك ؟ هل من خالق غير الله ؟) ونهيهم عن شرك العبادة ، ولذا قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) أى قائلين لأممهم أن اعبدوا الله فأفاد بقوله **(فى كل أمة)** أن جميع الأمم لم ترسل إليهم الرسل إلا لطلب توحيد العبادة لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم ، وأنه رب السموات والأرض ، فانهم مقرون بهذا ، ولهذا لم ترد الآيات فى الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير نحو **(هل من خالق غير الله ؟ أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفى الله شك فاطر السموات والأرض ؟ أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض ؟ أرونى ماذا خلق الذين من دونه ؟ أرونى ماذا خلقوا من الأرض؟)** استفهام تقرير لهم لأنهم مقرون، وبهذا تعرف أن المشركين لم يتخذوا الأصنام والأوثان ولم يعبدوها ، ولم يتخذوا

المسيح وأمه ، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى لأجل أنهم أشركوهم فى خلق السموات والأرض ، بل اتخذوهم لأنهم يقربونهم إلى الله زلفى كما قالوه ، فهم مقرون بالله فى نفس كلمات كفرهم وأنهم شفعاء عند الله ، قال الله تعالى (قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل الله تعالى اتخاذهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لأنه لا يشفع عنده أحد إلا باذنه ، فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم فى شفاعة ولا هم أهل لها ، ولا يغنون عنهم من الله شيئاً ؟ .

(الأصل الرابع) أن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مقرون بأن الله خالقهم(**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله**)وأنه الذى خلق السموات والأرض (**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**) وأنه الرازق الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، وأنه الذى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، وأنه الذى يملك السمع والأبصار والأفئدة (**قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون ؟ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل**

شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون (١) لله قل فأنى تسحرون؟) وهذا فرعون مع علوه فى كفره ودعواه أقبح دعوى ونطقه بالكلمة الشنعاء يقول الله فى حقه حاكياً عن موسى عليه السلام (**لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر**) وقال إبليس (**إنى أخاف الله رب العالمين**) وقال (**رب بما أغويتنى**) وقال (**رب أنظرنى**) وكل مشرك مقر بأن الله خالقه خالق السموات والأرض وربهن ورب ما فيهما ورازقهم. ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم (**أفمن يخلق كمن لا يخلق؟**) وبقولهم (**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له**) والمشركون مقرون بذلك لا ينكرونه .

(الأصل الخامس) أن العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل ولم تستعمل إلا فى الخضوع لله لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع كما فى الكشاف ، ثم إن رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذى تفيده كلمته ، التى إليها دعت جميع الرسل ، وهو قول لا إله إلا الله ، والمراد اعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان ، ومعناها إفراد الله بالعبادة والالهية والنفى والبراءة من كل معبود من دونه ، وقد علم الكفار هذا المعنى لأنهم أهل اللسان العربى ، فقالوا (**أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب**)

(فصل) إذا عرفت هذه الأصول فاعلم أن الله تعالى جعل

---

(١) فى قراءة سبعية سيقولون الله بالهمزة فى الموضعين .

العبادة له أنواعاً (اعتقادية) وهى أساسها ، وذلك أن تعتقد أنه الواحد الأحد الذى له الخلق والأمر ، وبيده النفع والضر ، وأنه الذى لا شريك له ولا يشفع عنده أحد إلا باذنه ، وأنه لا معبود بحق غيره ، وغير ذلك مما يجب من لوازم الالهية ومنها اللفظية وهى النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله وكان كابليس فانه يعتقد التوحيد ، بل ويقر به كما أسلفنا عنه إلا أنه لم يمتثل أمر الله فكفر . ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه إلى الله ، وحكمه حكم المنافقين.(وبدنية) كالقيام والركوع والسجود فى الصلاة . ومنها الصوم وأفعال الحج والطواف (ومالية) كاخراج جزء من المال امتثالا لما أمر الله تعالى به . وأنواع الواجبات والمندوبات فى الأموال والأبدان والأفعال والأقوال كثيرة لكن هذه أمهاتها ، وإذا تقررت هذه الأمور فاعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم السلام من أولهم إلى آخرهم ، يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه إذ هم مقرون بذلك كما قررناه وكررناه ، ولذا قالوا **(أجئتنا لنعبد الله وحده ؟)** أى لنفرده بالعبادة ونختصه بها من دون الأوثان ، فلم ينكروا إلا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله ، ولم ينكروا الله تعالى ولا أنه يعبد ، بل أقروا أنه يعبد وأنكروا كونه يفرد بالعبادة فعبدوا مع الله غيره ، وأشركوا معه سواه ، واتخذوا له أنداداً كما قال تعالى **(فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)** أى وأنتم تعلمون

أنه لا ند له ، وكانوا يقولون فى تلبيتهم للحج : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك ، وكان يسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم عند قولهم لا شريك لك ، ويقول « قد أفردوه جل جلاله ولو تركوا قولهم — إلا شريكاً هو لك » فنفس شركهم بالله تعالى إقرار به تعالى . قال تعالى **(أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون؟ ادعوا شركاءكم من دون الله — أقل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون)** فنفس اتخاذ الشركاء إقرار بالله تعالى ولم يعبدوا الأصنام بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم إلا لاعتقادهم أنها تقربهم من الله زلفى تشفع لهم لديه فأرسل الله الرسل تأمر بترك عبادة كل ما سواه، وأن هذا الاعتقاد الذى يعتقدونه فى الأنداد باطل والتقرب إليهم باطل ، وأن ذلك لا يكون إلا لله وحده ، وهذا هو توحيد العبادة وقد كانوا مقرين كما عرفت فى الأصل الرابع بتوحيد الربوبية ، وهو أن الله هو الخالق وحده ، والرازق وحده ، ومن هذا تعرف أن التوحيد الذى دعتهم إليه الرسل من أولهم — وهو نوح عليه السلام — إلى آخرهم — وهو محمد صلى الله عليه وسلم — هو توحيد العبادة ، ولذا تقول لهم الرسل **(ألا تعبدوا إلا الله — أعبدوا الله مالكم من إله غيره)** وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة وينادبهم عند الشدائد ، ومنهم من يعبد أحجاراً ويهتف بها ، وهى فى الأصل صور رجال صالحين ، كانوا يحبونهم ويعتقدون فيهم فلما هلكوا صوروا صورهم تسليا بها فلما طال عليهم الأمد عبدوهم

ثم زاد الأمد طولا فعبدوا الأحجار، ومنهم من يعبد المسيح ، ومنهم من يعبد الكواكب ويهتف بها عند الشدائد فبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الله وحده بأن يفردوه بالعبادة كما أفردوه بالربوبية أى بربوبية السموات والأرض وأن يفردوه بكلمة **(لا إله إلا الله)** معتقدين لمعناها عاملين بمقتضاها ، وأن لا يدعوا مع الله أحداً ، وقال تعالى **(له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء)** وقال تعالى **(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)** أى من شرط الصدق بالله أن لا يتوكلوا إلا عليه وأن يفردوه بالتوكل كما يجب أن يفردوه بالدعاء والاستغفار ، وأمر الله عباده أن يقولوا **(إياك نعبد)** ولا يصدق قائل هذا إلا إذا أفرد العبادة لله تعالى وإلا كان كاذباً منهيا عن أن يقول هذه الكلمة ، إذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله **(فاياى فاعبدون — وإياى فاتقون)** كما عرف من علم البيان أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر أى اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره واتقوا الله ولا تتقوا غيره ، كما فى الكشاف فافراد الله بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له والنداء فى الشدائد والرخاء ، لا يكون إلا لله وحده والاستعانة بالله وحده واللجأ إلى الله والنذر والنحر له تعالى ، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذللا لله تعالى ، والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كله لا يكون إلا لله عز وجل ، ومن فعل ذلك لمخلوق حى أو ميت أو جماد أو غيره فهذا

شرك فى العبادة وصار من تفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرا أو قبراً أو جنياً أو حياً أو ميتاً وصار بهذه العبادة أو بأى نوع منها عابداً لذلك المخلوق وان أقر بالله وعبده فان إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم ، قال الله تعالى (١) (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك**)لا يقبل الله عملا شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره .

(فصل) إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله مع إشراكهم فى العبادة ولم يغن عنهم من الله شيئاً ، وأن عبادتهم هى اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى ، فنحروا لهم النحائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم وقاموا متذللين متواضعين فى خدمتهم وسجدوا لهم مع هذا كله فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق ، ولكنهم لما أشركوا فى عبادته جعلهم مشركين ولم يعتد باقرارهم هذا لأنه نافاه فعلهم فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية ، فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة ، فاذا لم يفعل ذلك فالاقرار الأول باطل . وقد عرفوا ذلك وهم فى طبقات النار وقالوا(**تالله إن كنا لفى ضلال مبين. إذ نسويكم برب العالمين**) مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين

(١) أى فى الحديث القدسى الآتى فى صفحة ١٣٧ .

ولا رازقين ولكنهم علموا وهم فى قعر جهنم أن خلطهم الإقرار بذرة من ذرات الاشراك فى توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الأصنام ، وبين رب الأنام ، قال الله تعالى **(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)** أى ما يقر أكثرهم فى إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان ، بل سمى الله الرياء ، فى الطاعات شركاً مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها إلا الله تعالى وإنما أراد طلب المنزلة بالطاعة فى قلوب الناس . فالمرائى عبد الله لا غيره لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة فى قلوب الناس فلم تقبل له عبادة وسماها شركاً كما أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا وأشرك فيه معى غيرى تركته وشركه » بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركاً كما قال تعالى **(فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما)** فانه أخرج الامام أحمد والترمذى من حديث سمرة أنه قال صلى الله عليه وسلم « لما حملت حواء وكان لا يعيش لها ولد طاف بها إبليس وقال لا يعيش لك ولد حتى تسميه عبد الحارث فسمته فعاش » وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره فأنزل الله الآيات وسمى هذه التسمية شركاً . وكان إبليس تسمى بالحارث والقصة فى الدر المنثور وغيره .

(فصل) قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد فى شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جنى أو حى أو ميت أنه ينفع أو يضر

إنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده فى حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى – إلا ما ورد فى حديث فيه مقال فى حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك – فانه قد أشرك مع الله تعالى غيره واعتقد مالا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون فى الأوثان فضلا عمن ينذر بماله وولده لميت أو حى أو يطلب من ذلك مالا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات ، من عافية مريضه أو قدوم غائبه أو نيله لأى مطلب من المطالب فان هذا هو الشرك بعينه الذى كان عليه عباد الأوثان . والنذر بالمال على الميت نحوه والنحر على قبره والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الشرك الذى كان (١) تفعله الجاهلية ، وإنما كان الجاهلية يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً أو قبراً أو مشهداً والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعانى ، ضرورة لغوية وعقلية وشرعية ، فان من شرب الخمر وسماها ماء شرب إلا خمراً وعقابه عقاب شارب الخمر ، ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب فى التسمية وقد ثبت فى الأحاديث أنه يأتى أقوام يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها وصدق صلى الله عليه وسلم فانه قد أتى طوائف (٢) من الفسقة (٣) شربوا الخمر وسموها نبيذاً ، وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند

---

(١) وفى نسخة كانت .

(١) وفى نسخة أقوام .

(٢) وفى نسخة يشربون الخمر ويسمونها نبيذاً الخ .

السامعين هو إبليس لعنة الله فانه قال لأبى البشر آدم عليه السلام **﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ ﴾** فسمى الشجرة التى نهى الله تعالى آدم عن قربانها شجرة الخلد جذباً لطبعه إليهـا وهزا لنشاطه إلى قربانها ، غروراً له وتدليساً عليه بالاسم الذى اخترعه لها ، كما يسمى اخوانه المقلدون له الحشيشة بلقمة الراحة ، وكما يسمى الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله — ظلماً وعدواناً — أدباً فيقولون أدب القتل وأدب السرقة وأدب التهمة بتحريف اسم الظلم إلى اسم الأدب ، كما يحرفونه فى بعض المقبوضات إلى اسم النفاعة ، وفى بعضها إلى اسم السياقة ، وفى بعضها أدب المكاييل والموازين ، وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان كما يعرفه من شم رائحة الكتاب والسنة ، وكل ذلك مأخوذ عن إبليس حيث سمى الشجرة المنهى عنها شجرة الخلد فكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرجه عن اسم الصنم والوثن إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأوثان والأصنام ، ويطوفون بها طواف الحجاج ببيت الله الحرام ويستلمونها استلامهم لأركان البيت ، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم : على الله وعليك ، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها ، وكل قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلى وأهل التهائم لهم فى كل بلد ميت يهتفون باسمه ويقولون يا زيلعى يا ابن العجيل ، وأهل مكة وأهل الطائف يا ابن العباس ، وأهل مصر يا رفاعى يا بدوى والسادة البكرية ، وأهل الجبال يا أباطير ، وأهل اليمن

يا ابن علوان ، وفى كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر وهذا بعينه فعل المشركين فى الأصنام كما قلنا فى الأبيات النجدية :

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود ليس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحروا فى سوحها من نحيرة أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلا ويستلم الأركان منهن بالأيد

فان قال إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه ، فقل ان كان النحر لله فأى شيء قريب ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه ؟ هل أردت بذلك تعظيمه ؟ فان قال : نعم. فقل له هذا النحر لغير الله بل أشركت مع الله تعالى غيره ، وان لم ترد تعظيمه فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه ، فأنت تعلم يقينا أنك ما أردت ذلك أصلا ولا أردت إلا الأول ولاخرجت من بيتك إلا لقصده ، ثم كذلك دعاؤهم له فهذا الذى عليه هؤلاء شرك بلا ريب ، وقد يعتقدون فى بعض فسقة الأحياء وينادونه (١) فى الشدة والرخاء ، وهو عاكف على القبائح والفضائح ، لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين ، بالحضور هناك ولا يحضر جمعة ولا جماعة ولا يعود مريضاً ، ولا يشيع جنازة ، ولا يكتسب حلالا ويضم إلى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب ، ويجلب إليه إبليس

(١) وفى نسخة وينادونهم .

جماعة قد عشش فى قلوبهم وباض فيها وفرخ ، يصدقون بهتانه ، ويعظمون شانه ، ويجعلونه ندا لرب العالمين ومثلا له عز وجل ، فيا للعقول أين ذهبت ؟ وياللشرائع كيف جهلت ؟ (**إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم**) فان قلت أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون فى القبور والأولياء والفسقة والخلفاء مشركين كالذين يعتقدون فى الأصنام ؟ قلت : نعم قد حصل منهم ما حصل من أولئك ، وساووهم فى ذلك ، بل زادوا فى الاعتقاد . والانقياد والاستعباد ، فلا فرق بينهم . فان قلت هؤلاء: القبوريون يقولون : نحن لا نشرك بالله تعالى ، ولا نجعل له ندا ، والالتجاء إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس شركاً ، قلت نعم . (**يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم**)لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك ، فان تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك ، والله تعالى يقول (فصل لربك وانحر) أى لا لغيره كما يفيده تقديم الظرف (١) ويقول تعالى (**فلا تدعوا مع الله أحدا**) وقد عرفت بما قدمنا قريباً ، أنه سمى الرياء شركاً بما ذكرناه ؟ فهذا الذى يفعلونه لأوليائهم ، هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ولا ينفعهم قولهم : نحن لا نشرك بالله شيئاً لأن فعلهم أكذب قولهم ، فان قلت هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه . قلت : قد خرج الفقهاء فى كتب الفقه فى باب الردة ، أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد معناها ،

(١) دعوى التقديم ممنوعة والحكم صحيح .

وهذا دل على أنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا كفاراً كفراً أصلياً ، فالله تعالى فرض على عباده افراده بالعبادة(**أن لا تعبدوا إلا الله**) وإخلاصها(**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين لهالدين)** الآية ومن نادى الله ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفاً وطمعاً ثم نادى معه غيره فقد أشرك فى العبادة ، فان الدعاء من العبادة وقد سماه الله عبادة فى قوله تعالى(**إن الذين يستكبرون عن عبادتى**) بعد قوله (**ادعونى أستجبلكم**)

(فان قلت) فاذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ما سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين **(قلت)** إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم فقالوا يجب أولا دعاؤهم إلى التوحيد وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر لا يغنى عنهم من الله شيئاً ، وأنهم مثالهم ، وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك لا يتم الايمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه وإفراد التوحيد اعتقاداً وعملا لله وحده ، وهذا واجب على العلماء **(أى)** بيان أن ذلك الاعتقاد الذى تفرغت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم ، فاذا أبانت العلماء **(ذلك)** للأئمة والملوك وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة إلى إخلاص التوحيد ، فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذراريه ، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله صلى الله عليه وسلم من المشركين .

(فان قلت) الاستغاثة قد ثبتت فى الأحاديث فانه قد صح أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبى البشر ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وينتهون بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد اعتذار كل واحد من الأنبياء ، فهذا دليل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر **(قلت)** هذا تلبيس فان **الاستغاثة** بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد ، وقد قال الله تعالى فى قصة موسى مع الاسرائيلى والقبطى **(فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه)** وإنما الكلام فى استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم وطلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها إلا الله تعالى من عافية المريض وغيرها ، بل أعجب من هذا أن القبوريين وغيرهم من أتباع الأحياء ومن يعتقدون فيه يجعلون له حصة من الولد إن عاش ويشترون منه الحمل فى بطن أمه ليعيش لهم ويأتون بمنكرات ما بلغ إليها المشركون . ولقد أخبرنى بعض من يتولى قبض ما ينذر القبوريون لبعض أهل القبور أنه جاءه إنسان بدراهم وحلية نسائه وقال هذه لسيده فلان — يريد صاحب القبر — نصف مهر ابنتى لأنى زوجتها وكنت ملكت نصفها فلاناً — يريد صاحب القبر — وهذه النذور بالأموال وجعل قسط منها للقبر كما يجعلون شيئاً من الزرع يسمونه **(تلما)** فى بعض الجهات اليمينة للميت ، وكذلك يجعلون لهم نصيباً من أنعامهم — فهذا شيء ما بلغ إليه عباد الأصنام وهو داخل تحت قوله تعالى **(ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم)** بلا شك ولا ريب

نعم استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الأنبياء إنما يدعون الله تعالى يفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من الموقف وهـــذا لا شك فى جوازه **(أعنى)** طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض بل **قد** قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه لما خرج معتمراً « **لا تنسنا يا أخى من دعائك** » وأمرنا سبحانه أن ندعوا للمؤمنين ونستغفر لهم يعنى قوله تعالى**(يقولون ربنا اغفر لناولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان)** وقد قالت أم سليم رضى الله عنها . يارسول الله خادمك أنس ادع الله له ، وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يطلبون الدعاء منه صلى الله عليه وسلم وهو حى وهذا أمر متفق على جوازه وإنما الكلام فى طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا أن يشفوا مرضاهم ويردوا غائبهم ، وينفسوا عن حبلاهم وأن يسقوا زرعهم ويدروا ضروع مواشيهم ويحفظوها من العين ونحو ذلك من المطالب التى لا يقدر عليها إلا الله تعالى.وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم **(والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ــ إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم)** فكيف يطلب من الجماد أو من حى الجماد خير منه لأنه لا تكليف عليه . وهذا يبين ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم فى قوله تعالى**(وجعلوا للهمما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا)**الآية وقال **(ويجعلون**

لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون) فهؤلاء القبوريون والمعتقدون فى جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم مالا يجوز أن يعتقد إلا فى الله تعالى ، وجعلوا لهم جزءاً من المال وقصدوا قبورهم من ديارهم مسافرين للزيارة وطافوا حول قبورهم وقاموا خاضعين عند قبورهم وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقرباً إليهم — وهذه هى أنواع العبادات التى عرفناك — ولا أدرى هل فيهم من يسجد لهم ؟ لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك ، بل أخبرنى من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولى الذى يقصده تعظيما له وعبادة ويقسمون بأسمائهم ، بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه فاذا حلف باسم ولى من أوليائهم قبلوه وصدقوه ، وهكذا كان عباد الأصنام **(وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون)**

وفى الحديث الصحيح **(من حلف فليحلف بالله أو ليصمت)** (١) وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يحلف باللات فأمره أن يقول : **لا إله إلا الله**(٢) وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ (فمن كان حالفاً فليحلف بالله) الخ .

(٢) لفظ الحديث عند مسلم « من حلف منكم فقال فى حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله »

بالصنم (١) فأمره أن يجدد إسلامه فانه قد كفر بذلك كما قررنا فى (سبيل السلام شرح بلوغ المرام) وفى (منحة الغفار) (فان قلت) لا سواء لأن هؤلاء قد قالوا (لا إله إلا الله) وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها**» وقال لأسامة بن زيد «**قتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟**» وهؤلاء يصلون ويصومون ويزكون ويحجون بخلاف المشركين (**قلت**) قد قال صلى الله عليه وسلم «إلا بحقها» وحقها إفراد الألوهية والعبودية لله تعالى، والقبوريون لم يفردوا هذه العبادة . فلم تنفعهم كلمة الشهادة . فانها لا تنفع إلا مع التزام معناها ولم ينفع اليهود قولها لانكارهم بعض الأنبياء وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبياً لم تنفعه كلمة الشهادة ألا ترى أن بنى حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويصلون ولكنهم قالوا أن مسيلمة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوهم ؟ فكيف بمن يجعل للولى خاصة الإلهية ويناديه للمهمات ؟ وهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حرق أصحاب عبد الله بن سبأ وقد كانوا

---

(١) كان الأولى أن يقول : بالحلف بغير الله لأن الحلف بغير الله شرك مطلقاً لقوله صلى الله عليه وسلم (من حلف بغير الله كفر) رواه أبو داود والحاكم وفى رواية للحاكم (كل يمين يحلف بها دون الله شرك) وفى رواية لأحمد (من حلف بغير الله فقد أشرك) على أن ابن عباس قال (كان اللات رجلا يلت سويق الحاج) رواه البخارى ــ كتبه محمد محمد فاضل .

يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولكن غلوا فى على رضى الله عنه واعتقدوا فيه ما يعتقده القبوريون وأشباههم ، بل عاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحداً من العصاة فانه حفر لهم الحفائر ، وأجج لهم ناراً وألقاهم فيها وقال :

انى إذا رأيت أمراً منكراً أججت نارى ودعوت قنبراً

وقال الشاعر فى عصره :

لترم بى المنية حيث شاءت إذا لم ترم بى فى الحفرتين

إذا ما أججوا فيهن ناراً رأيت الموت نقداً غير دين

والقصة فى (فتح البارى) وغيره من كتب الحديث والسير ، وقد وقع إجماع الأمة على أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال : لا إله إلا الله ، فكيف من يجعل لله ندا ؟ **(فان قلت)** قد أنكر صلى الله عليه وسلم على أسامة قتله لمن قال لا إله إلا الله كما هو معروف فى كتب الحديث والسيرة **(قلت)** لا شك أن من قال لا إله إلا الله من الكفار حقن دمه وماله ، حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله ، ولذا أنزل الله فى قصته **(يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا)** الآية . فأمرهم الله تعالى بالتثبت فى شأن من قال كلمة التوحيد ، فان التزم لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وإن تبين خلافه لم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ ، وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه ما يخالف ذلك ، فاذا تبين لم تنفع هذه الكلمة بمجرد ، ولذلك لم تنفع اليهود ، ولا تنفع الخوارج مع ما انضم إليها من العبادة التى

(**كان**) يحتقر الصحابة عبادتهم إلى جنبها ، بل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم وقال « **لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد** » وذلك لما خالفوا بعض الشريعة ، وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء ، كما ثبت به الأحاديث .

فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابه ما يخالفها من عبادة غير الله .

(**فان قلت**) القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون فى فسقة الناس وجهالهم من الأحياء ، يقولون نحن لا نعبد هؤلاء ولا نعبد إلا الله وحده فلا نصلى لهم ولا نصوم ولا نحج (**قلت**) هذا جهل بمعنى العبادة فانها ليست منحصرة فيما ذكرت ، بل رأسها وأساسها الاعتقاد ، وقد حصل فى قلوبهم ذلك ، بل يسمونه معتقداً ، ويصنعون له ما سمعته مما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم ، والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة ، والحلف والنذر وغير ذلك . وقد ذكر العلماء أن من تزيا بزى الكفار صار كافراً ، ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافرا ، فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولا وفعلا ؟ .

(**فان قلت**) هذه النذور والنحائر ما حكمها ؟ (قلت) قد علم كل عاقل أن الأموال عزيزة عند أهلها ، يسعون فى جمعها ولو بارتكاب كل معصية ، وبقطع الفيافى ، من أدنى الأرض والأقاصى ، فلا يبذل أحد من ماله شيئاً إلا معتقداً لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضر ، فالناذر للقبر ما أخرج من ماله إلا لذلك ،

وهذا اعتقاد باطل ، ولو عرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج درهماً ، فان الأموال عزيزة عند أهلها قال تعالى (**ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم**)فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه إضاعة لماله ، وأنه لا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضرراً،وقد قال صلى الله عليه وسلم «**إن النذر لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل**» (١) ويجب رده إليه ، وأما القابض للنذر فإنه حرام عليه قبضه ، لأنه أكل لمال الناذر بالباطل لا فى مقابلة شيء ، وقد قال تعالى (**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**) ولأنه تقرير للناذر على شركه وقبح اعتقاده ورضاه بذلك، ولا يخفى حكم الراضي بالشرك(**إن الله لا يغفر أن يشرك به**) الآية فهو مثل حلوان الكاهن ومهر البغى ، ولأنه تدليس على الناذر وإيهام له أن الولى ينفعه ويضره ، فأى تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت ؟ وأى تدليس أعظم ؟ وأى رضاء بالمعصية العظمى أبلغ من هذا ؟ وأى تصيير لمنكر معروفاً أعجب من هذا ؟ وما كانت النذور للاصنام والأوثان إلا على هذا الأسلوب ، يعتقد الناذر جلب النفع فى الصنم ودفع الضرر فينذر له جزءاً من ماله ، أو يقاسمه فى غلات أطيانه ، ويأتى به إلى سدنة الأصنام فيقبضونه منه ويوهمونه حقية عقيدته ، وكذلك يأتى بنحيرته فينحرها بباب الصنم ، وهذه الأفعال هى التى بعث الرسل لإزالتها وإمحائها (٢) وإتلافها والنهى عنها (**فان قلت**) أن الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب إخراجه للنذر وبذله (**قلت**) كذلك الأصنام قد

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر . (٢) وفى نسخة وإحراقها .

يدرك منها ما هو أبلغ من هذا وهو الخطاب من جوفها والاخبار ببعض ما يكتمه الانسان ، فان كان هذا دليلا على حقية القبور وصحة الاعتقاد فيها فليكن دليلا على حقية الأصنام ، وهذا هدم للاسلام وتشييد لأركان الأصنام ، والتحقيق أن لابليس وجنوده من الجن والانس أعظم العناية فى إضلال العباد ، وقد مكن الله ابليس من الدخول فى الابدان والوسوسة فى الصدور والتقام القلب بخرطومه ، فكذلك يدخل أجواف الأصنام ، ويلقى الكلام فى أسماع الأقوام ، ومثله يصنعه فى عقائد القبوريين (١) فان الله تعالى قد أذن له أن يجلب بخيله ورجله على بنى آدم ، وأن يشاركهم فى الأموال والأولاد ، وثبت فى الأحاديث أن الشيطان يسترق السمع بالأمر الذى يحدثه الله فيلقيه إلى الكهان وهم الذين يخبرونه بالمغيبات ، ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة ، ويقصد شياطين الجن شياطين الإنس من سدنة القبور وغيرهم بذلك البهتان والزور فيقولون أن الولى فعل وفعل يرغبونهم فيه ويحذرونهم منه ، وترى (٢) العامة ملوك الأقطار وولاة الأمصار المعززين لذلك ، ويولون العمال لقبض النذور ، وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن من عالم أو قاض أو مفت أو شيخ صوفى فيتم التدليس لابليس . وتقر عينه بهذا التلبيس .

(فان قلت) هذا أمر عم البلاد ، واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد ، وطبق الأرض شرقاً وغرباً ، ويمناً وشاماً ، وجنوباً

---

(١) وفى نسخة أهل القبور .

(٢) وفى نسخة ويرون ملوك الأقطار مقررين لذلك .

وشمالا ، بحيث لا بلدة من بلاد الاسلام ، ولا قرية من قراه ، إلا وفيها قبور ومشاهد وأحياء ، يعتقدون فيها ويعظمونها ، وينذرون لها ، ويهتفون بأسمائها ، ويحلفون بها ويطوفون بفناء القبور ، ويسرجونها ، ويلقون عليها الأوراد والرياحين ، ويلبسونها الثياب ويصنعون كل أمر يقدرون عليه من العبادة لها وما فى معناها ، من التعظيم والخضوع والخشوع ، والتذلل والافتقار إليها ، بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو قريب منه ، أو مشهد يقصده المصلون فى أوقات الصلاة يصنعون فيه ما ذكر أو بعض ما ذكر ، ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة والقباحة ، ويسكت عليه علماء الاسلام الذين ثبتت لهم الوطأة فى جميع جهات الدنيا (**قلت**) ان أردت الانصاف ، وتركت متابعة الأسلاف ، وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل ، لا ما اتفق عليه العوالم جيلا بعد جيل ، وقبيلا بعد قبيل (فاعلم) أن هذه الأمور التى ندندن حول إنكارها ، ونسعى فى هدم منارها صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل ، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دنى ومثيل ، ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلدته ، يلقنونه فى الطفولية أن يهتف باسم من يعتقدون فيه ، ويراهم ينذرون عليه ويعظمونه ويرحلون به إلى محل قبره ويلطخونه بترابه ، ويجعلونه طائفاً على قبره ، فينشأ وقد قر فى قلبه عظمة ما يعظمونه ، وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه ،

فنشأ على هذا الصغير ، وشاخ عليه الكبير ، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير ، بل ترى من يتسم بالعلم ويدعى الفضل ، وينتصب للقضاء أو الفتيا أو التدريس ، أو الولاية والمعرفة ، أو الامارة والحكومة ، معظماً لما يعظمونه ، مكرماً لما يكرمونه ، قابضاً للنذور آكلا ما ينحر على القبور ، فيظن أن هذا دين الاسلام ، وأنه رأس الدين والسنام ، ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر — أن سكوت العالِم أو العالَم على وقوع منكر ليس دليلا على جواز ذلك المنكر .

ولنضرب لك مثلا من ذلك ، وهى هذه المكوس المسماة بالمجابى المعلوم من ضرورة الدين تحريمها ، قد ملأت الديار والبقاع ، وصارت أمراً مأنوساً ، لا يلج إنكارها إلى سمع من الأسماع ، وقد امتدت أيدى المكاسين فى أشرف البقاع ، فى مكة أم القرى ، يقبضون من القاصدين لأداء فريضة الاسلام ، ويلقون فى البلد الحرام كل فعل حرام ، وسكانها من فضلاء الأنام والعلماء والحكام ، ساكتون عن الانكار ، معرضون عن الايراد والإصدار أفيكون السكوت من العلماء بل من العالم دليلا على جوازها ، وأخذها وإحرازها ؟ هذا لا يقوله من له أدنى إدراك .

بل أضرب لك مثلا آخر هذا ، حرم الله الذى هو أفضل بقاع الدنيا بالاتفاق وإجماع العلماء ، أحدث فيه بعض ملوك الشراكسة

الجهلة الضلال ، هذه المقامات الأربعة التى فرقت (١) عبادة العباد واشتملت على ما لا يحصيه إلا الله عز وجل من الفساد ، وفرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة فى الدين . بدعة قرت بها عين إبليس اللعين ، وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين ، وقد سكت الناس عليها ، ووفد علماء الآفاق والأقطار إليها ، وشاهدها كل ذى عينين ، وسمع بها كل ذى أذنين ، أفهذا السكوت دليل على جوازها ؟ هذا لا يقوله من له إلمام بشىء من المعارف . وكذلك سكوتهم على هذه الأشياء الصادرة من القبوريين (فان قلت) يلزم من هذا أن الأمة قد اجتمعت على ضلالة حيث سكتت عن إنكارها لأعظم جهالة (قلت) الاجماع حقيقته (اتفاق مجتهدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر بعد عصره) وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد من بعد الأئمة الأربعة . وإن كان هذا قولا باطلا ، وكلاماً لا يقوله إلا من كان للحقائق جاهلا ، فعلى زعمهم لا إجماع أبداً من بعد الأئمة الأربعة ، فلا يرد السؤال ، فان هذا الابتداع والفتنة بالقبور ، لم يكن عن عهد أئمة المذاهب الأربعة ، وعلى ما تحققه فالاجماع وقوعه محال ، فان الأمة المحمدية قد ملأت الآفاق ، وصارت فى كل أرض ، وتحت كل نجم ، فعلماؤها المحققون لا ينحصرون ، ولا يتم لأحد معرفة أحوالهم ، فمن ادعى الاجماع بعد انتشار الدين ، وكثرة علماء المسلمين ، فانها دعوى كاذبة كما قاله أئمة التحقيق .

---

(١) وفى نسخة لعبادة .

ثم لو فرض أنهم علموا بالمنكر وما أنكروه ، بل سكتوا عن إنكاره لما دل سكوتهم على جوازه ، فانه قد علم من قواعد الشريعة أن وظائف الانكار ثلاث **(أولها)** الانكار باليد ، وذلك بتغيير المنكر وإزالته **(وثانيها)** الانكار باللسان ، مع عدم استطاعة التغيير باليد **(وثالثها)** الانكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان ، فان انتفى أحدها لم ينتف الآخر ، ومثاله مرور فرد من أفراد علماء الدين ، بأحد المكاسين وهو يأخذ أموال المظلومين فهذا الفرد من علماء الدين لا يستطيع التغيير (١) باليد على هــذا الذى يأخذ أموال المساكين ولا باللسان ، لأنه إنما يكون (٢) سخرة لأهل العصيان ، فانتفى شرط الانكار بالوظيفتين فلم يبق إلا الانكار بالقلب الذى هو أضعف الإيمان ، فيجب على من رأى ذلك العالم ساكتاً عن الانكار ، مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبار أن يعتقد أنه تعذر عليه الانكار باليد واللسان وأنه قد أنكر بقلبه ، فان حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب ، والتأويل لهم ما أمكن ضربة لازب ، فالداخلون إلى الحرم الشريف ، والمشاهدون لتلك الأبنية الشيطانية ، التى فرقت كلمة (٢) الدين ، وشتتت صلوات المسلمين ، معذورون عن الانكار إلا بالقلب ، كالمارين على المكاسين وعلى القبوريين ، ومن هنا يعلم اختلال ما استمر عند أئمة الاستدلال ، من قولهم فى بعض ما يستدلون عليه

(١) وفى نسخة على هذا الذى يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان لأنه إنما الخ.

(٢) وفى نسخة ولم. (٣) وفى نسخة شمل.

بالاجماع : أنه وقع ولم ينكر فكان إجماعاً . ووجه اختلاله أن قولهم : ولم ينكر رجم بالغيب ، فانه قد يكون أنكرته قلوب كثيرة تعذر عليها الانكار باليدين واللسان ، وأنت تشاهد فى زمانك أنه م أمر يقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك ، وأنت منكر له بقلبك ، ويقول الجاهل إذا رآك تشاهده . سكت فلان عن الانكار يقوله إما لاثماً أو متأسياً بسكوته ، فالسكوت لا يستدل به عارف ، وكذا يعلم اختلال قولهم فى الاستدلال : فعل فلان كذا وسكت الباقون فكان إجماعاً، وهذا مختل من جهتين **(الأولى)** دعوى أن سكوت الباقين تقرير لفعل فلان لما عرفت من عدم دلالة السكوت من عدم دلالة على التقرير **(والثانية)** قولهم فكان إجماعاً، فان الاجماع (اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم) . والساكت لا ينسب إليه وفاق ولا خلاف حتى يعرب عنه لسانه .

قال بعض الملوك وقد أثنى الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت : مالك لا تقول كما يقولون ؟ فقال : إن تكلمت خالفتهم . فما كل سكوت رضى ، فان هذه منكرات أسسها من بيده السيف والسنان ، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه ، وأعراضهم تحت قوله وكلمه ، فكيف يقوى فرد من الأفراد ، دفعه عما أراد ؟ فان هذه القباب والمشاهد التى صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والالحاد ، أكبر وسيلة إلى هدم الاسلام وخراب بنيانه، غالب، بل كل من يعمرها هم الملوك والسلاطين ، والرؤساء

والولاة ، إما على قريب لهم ، أو على من يحسنون الظن فيه ، من فاضل أو عالم أو صوفى أو فقير ، أو شيخ كبير ، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ، ولا هتف باسمه ، بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم فيأتى من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء ، وسرجت عليه الشموع ، وفرش بالفراش الفاخر ، وأرخيت عليه الستور ، وألقيت عليه الأوراد والزهور ، فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضر ، ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل ، فأنزل بفلان الضر وبفلان النفع ، حتى يغرسوا فى جبلته كل باطل . ولهذا الأمر ثبت فى الأحاديث النبوية اللعن على من سرج على القبور وكتب عليها ،وبنى عليها وأحاديث ذلك واسعة معروفة، فان ذلك فى نفسه منهى عنه ثم هو ذريعة إلى مفسده عظيمة .

(فان قلت) هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الأموال ، (قلت) هذا جهل عظيم بحقيقة الحال ، فان هذه القبة ليس بناؤها منه صلى الله عليه وسلم ولا من صحابته ، ولا من تابعيهم وتبع التابعين ، ولا من علماء أمته، وأئمة ملته ، بل هذه القبة المعمولة على قبره صلى الله عليه وسلم من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين ، وهو قلاوون الصالحى المعروف بالملك المنصور ، فى سنة ثمان وسبعين وستمائة ، ذكره فى (تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لادليليةيتبع فيها الآخر الأول .

وهذا آخر ما أردناه مما أوردناه ، لما عمت به البلوى واتبعت الأهواء وأعرض العلماء عن النكير الذى يجب عليهم، ومالوا إلى ما مالت العامة إليه وصار المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ، ولم نجد من الأعيان ناهياً عن ذلك ولا زاجراً ،

(فان قلت) قد يتفق للاحياء وللاموات اتصال جماعة بهم يفعلون خوارق من الأفعال يتسمون بالمجاذيب ، فما حكم مايأتون من تلك الأمور فانها مما جبلت القلوب على الاعتقاد بها ؟ **(قلت)** أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ، ويقولونها بألسنتهم ، ويخرجونها عن لفظها العربى ، فهم من أجناد إبليس اللعين ، ومن أعظم حمر الكون الذين ألبستهم ألسنتهم حلل التلبيس والتزيين ، لما أن إطلاق لفظ الجلالة مفرداً عن إخبار عنها بقولهم (الله الله) ليس بكلام ولا توحيد ، وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف ، باخراجه عن لفظه العربى ، ثم إخلائها عن معنى من المعانى ، ولو أن رجلا عظيما صالحاً يسمى بزيد وصار جماعة يقولون (زيد زيد) لعد ذلك استهزاء وإهانة وسخرية ، ولا سيما إذا زادوا إلى ذلك تحريف اللفظ ، ثم انظر هل أتى فى لفظه من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها ، أو الذى فى الكتاب والسنة هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل ؟ وهذه أذكار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعيته وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشهيق والنهيق والنعيق ، الذى اعتاده من هو عن الله وعن هدى رسوله صلى الله عليه وسلم وسمته ودله فى مكان سحيق ، ثم

قد يضيفون إلى الجلالة الشريفة أسماء جماعة من الموتى والمقبورين ، مثل ابن علوان وأحمد ابن الحسين وعبد القادر والعيدروس ، بل قد انتهى الحال إلى أنهم يفرون إلى أهل القبور من أهل الظلم والجراءة كعلى رومان وعلى الأحمر وأشباههما ، ولقد صان الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل الكساء وأعيان الصحابة عن إدخالهم فى أفواه هؤلاء الجهلة الضلال ، فيجمعون أنواعاً من الجهل والشرك والكفر .

(فان قلت) إنه قد يتفق مع هؤلاء الذين يلوكون الجلالة ، ويضيفون إليها أسماء جماعة من أهل الخلاعة والبطالة ، خوارق عادات ، وأمور تظن كرامات ، كطعن أنفسهم وحملهم لمثل الحنش والحية والعقرب ، وأكلهم النار ومسهم إياها بالأيدى وتقلبهم فيها بالأجسام(**قلت**) هذه أحوال شيطانية ، وإنك لملبس عليك إن ظننتها كرامات للأموات ، أو حسنات للأحياء (فانه) لما هتف هذا الضال بأسمائهم جعلهم أنداداً لله وشركاء له فى الخلق والأمر ، فهؤلاء الموتى والمقبورون أنت تفرض أنهم أولياء الله تعالى ، فهل يرضى ولى الله أن يجعله المجذوب أو السالك شريكاً لله تعالى ونداً ؟ إن زعمت ذلك فقد جئت شيئاً إدا ، وصيرت هؤلاء الأموات مشركين ، وأخرجتهم ـ وحاشاهم عن ذلك ـ عن دائرة الإسلام والدين ، حيث جعلتهم بجعلهم أنداداً لله راضين فرحين ، وزعمت أن هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضلال المشركين، التابعين لكل باطل ، المنغمسين بين بحار الرذائل ، الذين لا يسجدون لله

سجدة ، ولا يذكرون الله وحده . (فان زعمت هذا) فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين المجانين . وهدمت بذلك ضوابط الإسلام وقواعد الدين المبين والشرع المتين .

وإذا عرفت بطلان هذين الأمرين ، علمت أن هذه أحوال شيطانية ، وأفعال طاغوتية ، وأعمال إبليسية ، يفعلها الشياطين ، لإخوانهم من هؤلاء الضالين ، معاونة من الفريقين على إغواء العباد ، وقد ثبت فى الأحاديث ، أن الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان ، وهذا أمر مقطوع بوقوعه ، فهم الثعابين التى يشاهدها فى أيدى المجاذيب الإنسان ، وقد يكون ذلك من باب السحر وهو أنواع ، وتعلمه ليس بالعسير ، بل بابه الأعظم الكفر بالله ، وإهانة ما عظمه الله من جعل مصحف فى كنيف ونحوه فلا يغتر من يشاهد ما يعظم فى عينيه من أحوال المجاذيب من الأمور التى يراها عنده خوارق ، فان للسحر تأثيراً عظيما فى الأفعال ، وهكذا الذين يقلبون الأعيان بالأسحار وغيرها ، وقد ملأ سحرة فرعون الوادى بالثعابين والحيات ، حتى أوجس فى نفسه خيفة موسى عليه السلام ، وقد وصفه الله بأنه سحر عظيم ، والسحر يفعل أعظم من هذا ، فانه قد ذكر ابن بطوطة وغيره أنه شاهد فى بلاد الهند قوماً توقد لهم النار العظيمة ، فيلبسون الثياب الرقيقة ، ويخوضون فى تلك النار ، ويخرجون وثيابهم كأنها لم يمسها شىء ، بل ذكر أنه رأى إنساناً عند بعض ملوك الهند أتى بولدين معه ثم قطعهما عضواً عضوا ثم رمى بكل عضو إلى جهة فرقا حتى لم ير أحد شيئاً من تلك الأعضاء

ثم صاح وبكى فلم يشعر الحاضرون إلا وقد نزل كل عضو على انفراده وانضم إلى الآخر حتى قام كل واحد منهما على عادته حياً سويا ، ذكر هذا فى رحلته وهى رحلة بسيطة ، وقد اختصرت ، طالعتها بمكة عام ست وثلاثين ومائة وألف وأملاها علينا العلامة مفتى الحنفية فى المدينة السيد محمد بن أسعد رحمه الله .

وفى الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى بسنده أن ساحراً كان عند الوليد بن عقبة فجعل يدخل فى جوف بقرة ويخرج فرآه جندب رضى الله عنه فذهب إلى بيته فاشتمل سيفه فلما دخل الساحر فى البقرة قال جندب (أتأتون السحر وأنتم تبصرون ؟) ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر معها ، فانذعر الناس فسجنه الوليد وكتب بذلك إلى عثمان رضى الله عنه وكان على السجن رجل نصرانى فلما رأى جندباً يقوم الليل ويصبح صائماً ، قال النصرانى والله إن قوماً هذا شرهم لقوم صدق فوكل بالسجن رجلا ودخل الكوفة فسأل عن أفضل أهلها فقالوا : الأشعث بن قيس فاستضافه فرأى أبا محمد — يعنى الأشعث — ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغذائه ، فخرج وسأل : أى أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا جرير بن عبد الله فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغذائه فاستقبل القبلة فقال (ربى رب جندب ودينى دين جندب) وأسلم . وأخرجها البيهقى فى السنن الكبرى بمغايرة فى القصة ، فذكر بسنده إلى الأسود أن الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر ، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيقوم صارخاً فيرد إليه رأسه ، فقال الناس

سبحان الله يحيي الموتى ! ورآه رجل من صالحي المهاجرين فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب الساحر يلعب لعبه ذلك ، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه ، وقال إن كان صادقاً فليحيي نفسه . فأمر به الوليد ديناراً صاحب السجن فسجنه .اهـ

بل أعجب من هذا ما أخرجه الحافظ البيهقي باسناده في قصة طويلة وفيها أن امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل وهاروت وماروت ، وأنها أخذت قمحاً فقالت له بعد أن ألقته إلى الأرض : اطلع فطلع . فقالت إحقل فحقل ، ثم فركته ثم قالت إيبس فيبس ، ثم قالت إطحن فطحن ثم قالت له اختبز فاختبز ، وكانت لا تريد شيئاً إلا كان . والأحوال الشيطانية لا تنحصر ، وكفى ما يأتي به الدجال . والمعيار اتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما .

انتهى ما أوردناه والحمد لله رب العالمين أولا وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الرسالة الخامسة عقيدة الفرقة الناجية

أهل السنة والجماعة

تأليف الامام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل :

الأولى : العلم ، وهو معرفة الله ، ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .

الثانية : العمل به .

الثالثة : الدعوة إليه .

الرابعة : الصبر على الأذى فيه .

والدليل قوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم ، **والعصر إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)**

قال الشافعي رحمه الله تعالى : لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم .

وقال البخاري رحمه الله تعالى : « باب العلم قبل القول والعمل » والدليل على ذلك قوله تعالى : **(فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك)**(١) فبدأ بالعلم قبل القول والعمل .

واعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة ، تعلم هذه الثلاث مسائل ، والعمل بهن :

---

(١) محمد (الآية : ١٩) .

الأولى : أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا ، بل أرسل إلينا رسولا ، فمن أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار .

والدليل قوله تعالى : **(إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا) (١)**

الثانية : أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد فى عبادته ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل .

والدليل قوله تعالى : **(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) (٢)**

الثالثة : أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ، ولو كان أقرب قريب .

والدليل قوله تعالى : **(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) (٣)**

اعلم أرشدك الله لطاعته ، أن الحنيفية ملة إبراهيم ، أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين ، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها ،

---

(١) المزمل (الآيتان : ١٥ ، ١٦) .

(٢) الجن (الآية : ١٨) .

(٣) المجادلة (الآية : ٢٢) .

كما قال تعالى :(**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) (١) ومعنى(**يعبدون**) : يوحدون . وأعظم ما أمر الله به التوحيد ،وهو افراد الله بالعبادة،وأعظم ما نهى عنه الشرك،وهو دعوة غيره معه.

والدليل قوله تعالى : (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**)(٢).

فاذا قيل لك : ما الأصول الثلاثة التى يجب على الإنسان معرفتها؟

فقل : معرفة العبد ربه ، ودينه ، ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم .

الأصل الأول

فاذا قيل لك : من ربك ؟

فقل : ربى الله الذى ربانى وربى جميع العالمين بنعمه ، وهو معبودى ليس لى معبود سواه .

والدليل قوله تعالى :(**الحمد لله رب العالمين**) وكل من سوى الله عالم ، وأنا واحد من ذلك العالم . .

فاذا قيل لك : بم عرفت ربك ؟

فقل : بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، ومن مخلوقاته السموات السبع ، والأرضون السبع ، ومن فيهن وما بينهما .

---

(١) الذاريات (الآية : ٥٦) .

(٢) النساء (الآية : ٣٥) .

والدليل قوله تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) (١) (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (٢)

والرب هو : المعبود :

والدليل قوله تعالى : (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) (٣)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة .

وأنواع العبادة التى أمر الله بها ، مثل الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، ومنه الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والخشية ، والإنابة ، والاستعانة ، والاستعاذة والاستغاثة ، والذبح ، والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادة التى أمر الله بها ، كلها لله تعالى .

---

(١) فصلت (الآية : ٣٧) .
(٢) الأعراف (الآية : ٥٣) .
(٣) البقرة (الآيتان : ٢١ ، ٢٢) .

والدليل قوله تعالى: **(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)(١).**

فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر.

والدليل قوله تعالى: **(ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهاناً له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون)(٢)**

وفي الحديث: « الدعاء مخ العبادة » (٣)

(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (٤).

ودليل الخوف قوله تعالى: **(فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) (٥)**

ودليل الرجاء قوله تعالى: **(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (٦).**

ودليل التوكل قوله تعالى: **(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)(٧)**

وقوله: **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (٨)**

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين)(٩).

---

(١) الجن (الآية: ١٨).

(٢) المؤمنون (الآية: ١١٨).

(٣) رواه الترمذي بسند ضعيف، وإنما صح عنه صلى الله عليه وسلم عن النعمان ابن بشير بلفظ: « الدعاء هو العبادة » رواه أحمد والترمذي بسند صحيح.

(٤) المؤمن (الآية: ٦٠).

(٥) آل عمران (الآية: ١٧٥).

(٦) الكهف (الآية: ١١١).

(٧) المائدة (الآية: ٢٦).

(٨) الطلاق (الآية: ٣)

(٩) الأنبياء (الآية: ٩٠).

ودليل الخشية قوله تعالى : (**فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون**) الآية (١)

ودليل الإنابة قوله تعالى : (**وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون**)- (٢) الآية

ودليل الاستعانة قوله تعالى : (**إياك نعبد وإياك نستعين**). وفى الحديث« **إذا استعنت فاستعن بالله** »(٣)

ودليل الاستعاذة قوله تعالى : (**قل أعوذ برب الفلق**) : (**قل أعوذ برب الناس**) .

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : (**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم**)(٤)

ودليل الذبح قوله تعالى : (**قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**(٥) ومن السنة « لعن الله من ذبح لغير الله » (٦) .

ودليل النذر قوله تعالى :(**يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً**) (٧)

---

(١) البقرة (الآية : ١٥٠) .

(٢) الزمر (الآية : ٥٤) .

(٣) حديث صحيح ، أخرجه أحمد والترمذى . تمامه « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

(٤) الأنفال (الآية : ٩) . (٥) الأنعام (الآية : ١٦٣) .

(٦) رواه مسلم وأحمد وغيرهما . (٧) الإنسان ، (الآية : ٧) .

الأصل الثانى

معرفة دين الإسلام بالأدلة ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله ، وهو ثلاث مراتب :

الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .

وكل مرتبة لها أركان .

مرتبة الإسلام

فأركان الإسلام خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله * وإقام الصلاة * وإيتاء الزكاة وصوم رمضان * وحج بيت الله الحرام .

فدليل الشهادة قوله تعالى : **(شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)(١)** ومعناها : لا معبود بحق إلا الله وحده .

وحد النفى من الإثبات « لا إله » نافياً جميع ما يعبد من دون الله « إلا الله » مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له فى عبادته ، كما أنه ليس له شريك فى ملكه .

وتفسيرها الذى يوضحها قوله تعالى : **(وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون . إلا الذى فطرنى فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون)(٢)** وقوله تعالى : **(قل يا أهل الكتاب**

---

(١) آل عمران (الآية : ١٨) . (٢) الزخرف (الآيات : ٢٦ ، ٢٨) .

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (١)

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى : **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم)** (٢) .

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ؛ وأن لا يعبد إلا بما شرع .

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى : **(وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)** (٣) .

ودليل الصيام قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** (٤)

ودليل الحج قوله تعالى : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين)** (٥)

---

(١) آل عمران (الآية : ٦٤) .
(٢) التوبة (الآية : ١٢٩) .
(٣) البينة (الآية : ٥) .
(٤) البقرة (الآية : ١٨٣) .
(٥) آل عمران (الآية : ٩٧) .

مرتبة الإيمان

الإيمان ، وهو بضع وسبعون شعبة ، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ،والحياء شعبة من الإيمان .

وأركانه ستة : أن تؤمن بالله وملائكته . وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى : **(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) (١)**

ودليل القدر قوله تعالى :**(إنا كل شيء خلقناه بقدر) (٢)**

مرتبة الإحسان

الإحسان ركن واحد ، وهو« **أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك** » .

والدليل قوله تعالى: **(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)(٣)** وقوله تعالى : **(وتوكل على العزيز الرحيم . الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين . إنه هو السميع العليم) (٤)**وقوله تعالى : **(وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) (٥)** الآية .

---

(١) البقرة (الآية : ١٧٧).

(٢) القمر (الآية : ٤٩) . (٣) النحل (الآية : ١٢٨) .

(٤) الشعراء (الآيات : ٢١٧ — ٢٢٠) . (٥) يونس (الآية : ٦١) .

والدليل من السنة : حديث جبريل المشهور (١) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال يا محمد أخبرنى عن الإسلام ، فقال : **« أن تشهد أنلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاةوتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»** قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: «فأخبرنى عن الإيمان» قال : **« أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »** . قال : صدقت قال : فأخبرنى عن الإحسان . قال : **« أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »** قال : فأخبرنى عن الساعة.قال : **« ما المسئول عنها بأعلم من السائل »** قال : فأخبرنى عن أماراتها . قال : **«أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان »** . قال : فمضى فلبثنا ملياً ، فقال : «يا عمر أتدرى من السائل » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : **« هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »** (٢)

---

(١) أى المعروف .

(٢) رواه مسلم ، وهو عند البخارى بنحوه عن أبى هريرة .

الأصل الثالث

معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . وله من العمر ثلاث وستون سنة ، منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبياً رسولا . نبئ بـ (اقرأ) وأرسل بـ (المدثر) . وبلده مكة ، وبعثه الله بالنذارة عن الشرك ، ويدعو إلى التوحيد ، والدليل قوله تعالى : **(يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر)** (١) ومعنى **(قم فأنذر)** ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ، **(وربك فكبر)** عظمه بالتوحيد . **(وثيابك فطهر)** أى طهر أعمالك عن الشرك ، **(والرجز فاهجر)** الرجز : الأصنام ، وهجرها تركها والبراءة منها وأهلها ، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد ، وبعد العشر عرج به إلى السماء ، وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى فى مكة ثلاث سنين . وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة .

والهجرة : الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام .

والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، وهى باقية إلى أن تقوم الساعة . والدليل قوله تعالى : **(إن الذين**

---

(١) المدثر (الآيات ١ – ٧) .

توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا)(١) وقوله تعالى : (يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فاياى فاعبدون)(٢) .

قال البغوى رحمه الله : سبب نزول هذه الآية فى المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ، ناداهم الله باسم الإيمان .

والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » (٢)

فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام ، مثل الزكاة ، والصوم ، والحج ، والأذان ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وغير ذلك من شرائع الإسلام .أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفى صلوات الله وسلامه عليه ودينه باق .

وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذرها منه .

والخير الذى دلها عليه : التوحيد ، وجميع ما يحبه الله ويرضاه .

والشر الذى حذرها منه : الشرك وجميع ما يكره الله ويأباه .

بعثه الله إلى الناس كافة ، وافترض طاعته على جميع الثقلين : الجن والإنس .

---

(١) النساء ، الآيات (٩٦ – ٩٨) . (٢) العنكبوت (الآية : ٥٦) .

(٢) رواه أحمد (٤ : ٩٩) وأبو داود بسند ضعيف .

والدليل قوله تعالى : (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً) (١) وكمل الله به الدين .

والدليل قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) (٢) .

والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :
(إنك ميت وإنهم ميتون. ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون)(٣)

والناس إذا ماتوا يبعثون .

والدليل قوله تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)(٤) . وقوله تعالى : (والله أنبتكم من الأرض نباتاً . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً)(٥) وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم .

والدليل قوله تعالى : (ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) (٦).

ومن كذب بالبعث كفر .

والدليل قوله تعالى :(زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل : بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) (٧)

---

(١) الأعراف (الآية : ١٥٧) .
(٢) المائدة (الآية : ٤) .
(٣) الزمر (الآيتان : ٣٠ ، ٣١) .
(٤) طه (الآية : ٥٥) .
(٥) نوح (الآيتان : ١٧ ، ١٨) .
(٦) النجم (الآية : ٣١) .
(٧) التغابن (الآية : ٧) .

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين .

والدليل قوله تعالى : **(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (١) .**

وأولهم نوح عليه السلام ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين .

والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى : **(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) (٢) .**

وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده ، وينهاهم عن عبادة الطاغوت .

والدليل قوله تعالى : **(ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٣)**

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت ؛ والإيمان بالله.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع .

والطواغيت كثيرون ، رؤوسهم خمسة : إبليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله .

---

(١) النساء (الآية : ١٦٣) .

(٢) النساء (الآية : ١٦٢) .

(٣) النحل (الآية : ١٦) .

والدليل قوله تعالى : **(لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)** (١)وهذا هو معنى « لا إله إلا الله » .

وفى الحديث : « **رأس الأمر الإسلام،وعموده الصلاةوذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله** » .

والله أعلم ؛ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) البقرة (الآية : ٢٥٦) .

الرسالة السادسة مفيد المستفيد

فى كفر تارك التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل

مما قال الشيخ الإمام ، وعلم الهداة الأعلام ، محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : لما ارتاب بعض من يدعى العلم من أهل العيينة ، ارتد أهل حريملا ، فسئل الشيخ أن يكتب كلاماً ينفعه الله به .

فقال رحمه الله تعالى : روى مسلم فى صحيحه عن عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه قال : كنت وأنا فى الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة ، وأنهم ليسوا على شىء وهم يعبدون الأوثان قال فسمعت برجل فى مكة يخبر أخباراً ، فقعدت على راحلتى حتى قدمت عليه ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً جرؤ عليه قومه ، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة ، فقلت له : وما أنت قال أنا نبى ، قلت وما نبى ؟ قال أرسلنى الله . فقلت بأى شىء أرسلك ؟ قال بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شىء . فقلت له ومن معك على هذا ؟ قال حر وعبد . قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ، فقلت له إنى متبعك ، قال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ، ألا ترى حالى وحال الناس ؟ ولكن ارجع إلى أهلك فاذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى ، قال فذهبت إلى أهلى ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكنت فى أهلى

فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم نفر من أهل يثرب فقلت ما فعل هذا الرجل الذى قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس إليه سراع ، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك ، فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت يا رسول الله أتعرفنى ؟ قال : نعم أنت الذى لقيتنى بمكة ، قال فقلت يا نبى الله علمنى مما علمك الله وأجهله ، أخبرنى عن الصلاة . قال صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وحتى ترتفع فانها تطلع حين تطلع بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صل فان الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقبل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة فانها حينئذ تسجر جهنم ، فاذا أقبل الفىء فصل ، فان الصلاة محضورة مشهودة حتى تصل العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فانها تغرب بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار . وذكر الحديث .

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها معللا بأنها تطلع وتغرب بين قرنى شيطان ، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار ، ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله ، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرنى شيطان ، ولا أن الكفار تسجد لها . ثم إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة فى هذا الوقت حسما لمادة المشابهة .

ومن هذا الباب أنه إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجبه

الأيمن ولم يصمد له صمداً ، ولهذا ينهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله فى الجملة . ولهذا نهى عن السجود بين يدى الرجل لما فيه من مشابهة السجود لغير الله ، انتهى كلامه .

فليتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما فى هذا الحديث من العبر فان الله سبحانه وتعالى يقص علينا أخبار الأنبياء وأتباعهم ليكون للمؤمن من المستأخرين عبرة ، فيقيس حاله بحالهم ، وقص قصص الكفار والمنافقين لتجتنب ويجتنب من تلبس بها أيضاً ، فمما فيه من الاعتبار أن هذا الاعرابى الجاهلى لما ذكر له أن رجلا بمكة يتكلم فى الدين بما يخالف الناس لم يصبر حتى ركب راحلته فقدم عليه وعلم ما عنده لما فى قلبه من محبة الدين والخير ، وهذا فسر به قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً) أى حرصاً على تعلم الدين (لأسمعهم) أى لأفهمهم ، فهذا يدل على أن عدم الفهم فى أكثر الناس اليوم عدل منه سبحانه لما يعلم فى قلوبهم من عدم الحرص على تعلم الدين ،فتبين أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الأنسان من شر الدواب هو عدم الحرص على تعلم الدين ، فاذا كان الجاهلى يطلب هذا المطلب فما عذر من ادعى اتباع الأنبياء وبلغه عنهم ما بلغه ، وعنده من يعرض عليه التعليم ولا يرفع بذلك رأساً ؟ فان حضر أو سمع فكما قال تعالى (**ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم**)

وفيه من العبر أيضاً أنه قال « **أرسلنى الله** » قال بأى شىء أرسلك؟ قال بكذا وكذا ، فتبين أن زبدة الرسالةالالهية والدعوة النبوية هو توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له ، وكسر الأوثان ،

ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف .

فتأمل زبدة الرسالة ، وفيه أيضاً أنه فهم المراد من التوحيد ، وفهم أنه أمر كبير غريب ، ولأجل هذا قال: من معك ؟ قال: حر وعبد فأجابه أن جميع العلماء والعباد والملوك والعامة مخالفون له ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر ، فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون مع أقل القليل ، وأن الباطل قد يملأ الأرض ، ولله در الفضيل ابن عياض حيث يقول : لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين ، وأحسن منه قوله تعالى **(ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين)**

وفى الصحيحين أن بعث النار من كل ألف تسعة وتسعون وتسعمائة ، وفى الجنة واحد من كل ألف ، ولما بكوا من هذا لما سمعوه قال صلى الله عليه وسلم « إنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ العدد من الجاهلية ، فان تمت وإلا كمل من المنافقين » قال الترمذى حسن صحيح — فاذا تأمل الانسان ما فى هذا الحديث من صفة بدء الاسلام ومن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ، ثم ضم إليه الحديث الآخر الذى فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » تبين له الأمر إن هداه الله وانزاحت عنه الحجة الفرعونية (فما بال القرون الأولى) والحجة القرشية (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة).

وقال أبو العباس فى كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) فى الكلام على قوله تعالى (**وما أهل به لغير الله**) ظاهره أن ما ذبح

لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ حرام ، وتحريم هذا أظهر من من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه ، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله، فان عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور ، والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه لحرم وإن قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقى هذه الأمة ، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبائحهم بحال ، لكن يجتمع فى الذبيحة مانعان . ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن . اه كلام الشيخ وهو الذى ينسب إليه أعداء الدين أنه لا يكفر المعين ، فانظر أرشدك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة ، وتصريحه أن المنافق يصير مرتداً بذلك ، وهذا فى المعين ، إذ لا يتصور أن تحرم إلاذبيحة معين .

وقال أيضاً فى الكتاب المذكور :

وكانت الطواغيت الكبار التى تشد إليها الرحال ثلاثة : اللات والعزى ومنات وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب ، فكانت اللات لأهل الطائف ذكروا أنه كان فى الأصل رجلا صالحاً يلت السويق للحاج ، فلما مات عكفوا على قبره . وأما العزى فكانت لأهل مكة قريباً من عرفات ، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون . وأما منات فكانت لأهل المدينة وكانت حذو قديد من ناحية الساحل ، ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين فى عبادتهم الأوثان ويعرف حقيقة الشرك الذى ذمه الله وأنواعه ،

حتى يتبين له تأويل القرآن ، فلينظر إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال العرب فى زمانه وما ذكره الأزرقى وغيره فى أخبار مكة من العلماء ، وكان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط فقال بعض الناس يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال « الله أكبر إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم » فأنكر صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم للكفار فى اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها أسلحتهم ، فكيف بما هو أطم من ذلك : من الشرك بعينه ؟

إلى أن قال : فمن ذلك عدة أمكنة بدمشق ، مثل مسجد يقال له مسجد الكف فيه تمثال كف يقال إنه كف على بن أبى طالب حتى هدم الله ذلك الوثن ، وهذه الأمكنة كثيرة موجودة فى البلاد ، وفى الحجاز منها مواضع .

ثم ذكر كلاماً طويلا فى نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند القبور فقال : العلة لما يفضى إليه ذلك من الشرك . ذكر ذلك الشافعى وغيره ، وكذلك الأئمة من أصحاب مالك وأحمد كأبى بكر الأثرم ، عللوا بهذه العلة، وقد قال تعالى **(وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً)** الآية، ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ، ذكر هذا البخارى فى صحيحه ، وأهل التفسير كابن جرير وغيره .

ومما يبين صحة هذه العلة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد ومعلوم أن قبور الأنبياء لا يكون ترابها نجساً ، وقال عن نفسه « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » فعلم أن نهيه عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، سدا للذريعة لئلا يصلى فى هذه الساعة وإن كان المصلى لا يصلى إلا لله ولا يدعو إلا الله ، لئلا يفضى ذلك إلى دعائها والصلاة لها ، وكلا الأمرين قد وقع ، فان من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعوها بأنواع الادعية .

وهذا من أعظم أسباب الشرك الذى ضل به كثير من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك فى كثير ممن ينتسب إلى الإسلام ، وصنف بعض المشهورين فيه كتاباً على مذهب المشركين مثل أبى معشر البلخى وثابت بن قرة وأمثالهما ممن دخل فى الشرك وآمن بالطاغوت والجبت وهم ينتسبون إلى الكتاب كما قال تعالى **(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)** اهـ كلامه رحمه الله .

فانظر رحمك الله إلى هذا الامام الذى ينسب عنه من أزاغ الله قلبه عدم تكفير المعين كيف ذكر عن مثل الفخر الرازى وهو من أكابر أئمة الشافعية ، ومثل أبى معشر وهو من أكابر المشهورين من المصنفين وغيرهما أنهم كفروا وارتدوا عن الاسلام ، والفخر هو الذى ذكره الشيخ فى الرد على المتكلمين لما ذكر تصنيفه الذى ذكر هنا قال : وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين ، وسيأتى كلامه إن شاء الله .

وتأمل أيضاً ما ذكره فى اللات والعزى ومناة ، وجعله فعل المشركين معها هو بعينه الذى يفعل بدمشق وغيرها .

وتأمل قوله على حديث ذات أنواط : هذا قوله فى مجرد مشابهتهم فى اتخاذ شجرة فكيف بما هو أطم من ذلك ، من الشرك بعينه . فهل للزائغ بعد هذا متعلق بشىء من كلام هذا الإمام ، وأنا أذكر لفظه الذى احتجوا به على زيغهم ، قال رحمه الله : أنا من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى .اه كلامه . وهذا صفة كلامه فى المسألة فى كل موضع وقفنا عليه من كلامه لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال إن المراد بالتوقف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة ، وأما إذا بلغته حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير أو تفسيق أومعصية وصرح رضى الله عنه أن كلامه فى غير المسائل الظاهرة فقال فى الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منه الردة عن الاسلام كثيراً ، قال :

وهذا إن كان فى المقالات الخفية فقد يقال إنه فيها مخطىء ضال ، لم تقم عليه الحجة التى يكفر تاركها ، لكن هذا يصدر عنهم فى أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها ، وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين

وغيرهم ، فان هذا أظهر شعائر الاسلام ، ومثل إيجاب الصلوات الخمس وتعظيم شأنها ، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ، ثم نجد كثيراً من روءسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين . وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف فى دين المشركين كما فعل أبو عبدالله الرازى (يعنى الفخر الرازى) قال وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين ، اه كلامه.

فتأمل هذا وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التى يذكر أعـــداء الله ، لكن **(من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً)**

على أن الذى نعتقده وندين الله به ونرجو أن يثبتنا عليه ، أنه لو غلط هو أو أجل منه فى هذه المسألة (وهى مسألة المسلم إذا أشرك بالله بعد بلوغ الحجة) أو المسلم الذى يفضل هذا على الموحدين ، أو يزعم أنه على حق أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذى بينه الله ورسوله ، وبينه علماء الأمة إنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله من تكفيره ولو غلط ، فكيف والحمد لله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافاً فى هذه المسألة ، وإنما يلجأ من شاق فيها إلى حجة فرعون (فما بال القرون الأولى) أو حجة قريش (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) .

وقال الشيخ رحمه الله فى الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين ، وأمره صلى الله عليه وسلم بقتالهم قال : فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب إلى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر صلى الله عليه

وسلم بقتالهم . فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يمرق أيضاً من الاسلام فى هذه الأزمان وذلك بأسباب منها الغلو الذى ذمه الله فى كتابه حيث يقول (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق) وعلى بن أبى طالب حرق الغالية من الرافضة ، فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها ، واتفق الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق ، وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء ، وكذلك الغلو فى بعض المشايخ بل الغلو فى على بن أبى طالب بل الغلو فى المسيح ونحوه فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهيـــة مثل أن يقول ياسيدى فلان انصرنى أو أغثنى أو ارزقنى أو اجبرنى أو أنا فى حسبك ونحو هذه الأقوال ، فكل هذه شرك وضـــلال يستتاب صاحبها ، فان تاب وإلا قتل ، فان الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا شريك له ، لا يجعل معه إلهاً آخر ، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا معتقدين أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ، ويقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . فبعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ينهى أن يدعى أحد من دونه ، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) الآية .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة — ثم ذكر رحمه الله تعالى آيات ثم قال :

وعبادة الله وحده لا شريك له هى أصل الدين ، وهو التوحيد الذى بعث الله به الرسل ونزلت به الكتب قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** وكان صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، قال « أجعلتنى لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده » ونهى عن الحلف بغير الله وقال « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » وقال فى مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . وقال « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » وقال « لا تتخذوا قبرى عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى »

ولهذا اتفق أئمة الاسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها ، وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان هو تعظيم القبور . ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبى صلى الله عليه وسلم عند قبره انه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لأنه إنما يكون ذلك لأركان البيت فلا يشبه بيت المخلوق لبيت الخالق.

كل هذا لتحقيق التوحيد الذى هو أصل الدين ورأسه الذى لا يقبل الله عملا إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه ، قال تعالى **(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)**

الآية.ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه ، وأعظم آية فى القرآن آية الكرسى (**الله لا إله إلا هو الحى القيوم**) وقال صلى الله عليه وسلم «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**». والإله هو الذى تألهه القلوب عبادة له واستعانة به ورجاء وخشية وإجلالا . اهـ كلامه رحمه الله .

فتأمل أول الكلام وآخره ، وتأمل كلامه فيمن دعا نبياً أو ولياً مثل أن يقول يا سيدى فلان أغثنى ونحوه أنه يستتاب ، فان تاب وإلا قتل ، هل يكون هذا إلا فى المعين ، والله المستعان . وتأمل كلامه فى اللات والعزى ومناة ، وما ذكر بعده يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى .

قال ابن القيم رحمه الله فى شرح المنازل فى (باب التوبة) .

وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويغضبون لمنتقص معبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين وقد شاهدنا هذا وغيرنا منهم جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه إن قام وإن قعد ، وإن عثر وان استوحش ، وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ، وهكذا كان عباد الأصنام سواء ، وهذا القدر هو الذى قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر ، وغيرهم اتخذوها من البشر . قال تعالى حاكياً عن

أسلاف هؤلاء (**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**).الآية . فهذه حال من اتخذ من دون الله ولياً بزعم أنه يقربه إلى الله تعالى : وما أعز من يتخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادى من أنكره . والذى قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله عليهم ذلك فى كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له .

ثم ذكر الشيخ رحمه الله فصلا طويلا فى تقرير هذا الشرك الأكبر ، ولكن تأمل قوله : وما أعز من يتخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادى من أنكره : يتبين لك بطلان الشبهة التى أدلى بها الملحد وزعم أن كلام الشيخ فى الفصل الثانى يدل عليه ، وسيأتى تقريره إن شاء الله تعالى ، وذكر فى آخر هذا الفصل (أعنى الفصل الأول) فى الشرك الأكبر الآية التى فى سورة سبأ (**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله**) إلى قوله (إلا لمن أذن له) وتكلم عليها ثم قال :

والقرآن مملوء من أمثالها ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته ، ويظنه فى قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثاً ، وهـذا هو الذى يحول بين القلب وبين فهم القرآن كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية . وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره وهو لا يعرف أنه الذى كان عليه أهل الجاهلية ، فتنقض بذلك عرى الاسلام ، ويعود المعروف منكراً ،

والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة رسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً ، فالله المستعان .

(فصل) وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والحلف بغير الله ، وقول هذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ومالى إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا .

وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده، ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى بعد ذكر الشرك الأكبر والأصغر :

ومن أنواع هذا الشرك السجود للشيخ ، ومن أنواعه التوبة للشيخ فانها شرك عظيم، ومن أنواعه النذر لغير الله، والتوكل على غير الله والعمل لغير الله ، والإنابة والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره وإضافة نعمه إلى غيره .

ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلا لمن استغاث به أو سأله أن يشفع له إلى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فان لله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا باذنه ، والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لإذنه ، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن ، والميت محتاج إلى من يدعو له كما أوصانا النبي صلى الله

عليه وسلم إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل الله لهم العافية والمغفرة ، فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ، ونسبتهم إلى تنقص الأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه المؤمنين بذمهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا أو أنهم أمروهم به . وهؤلاء أعداء الرسل فى كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم ، ولله در خليله ابراهيم حيث يقول **(واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس)** وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد التوحيد لله وعادى المشركين فى الله وتقرب بمقتهم إلى الله . اه كلامه.

والمراد بهذا أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ أن هذا شرك أصغر ، وشبهته أنه ذكر فى الفصل الثانى الذى ذكر فى أوله الأصغر وأنت رحمك الله تجد الكلام من أوله إلى آخره فى الفصل الأول والثانى صريحاً لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة منها أن دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر الذى بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم بالنهى عنه ، فكفر من لم يتب منه وقاتله وعاداه ،وآخر ما صرح به قوله آنفاً « **وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر** » الخ فهل بعد هذا البيان بيان إلا العناد بل الالحاد ، ولكن تأمل قوله أرشدك الله « وما نجا من شرك هـــذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين » الخ . وتأمل أن الاسلام

لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك الأكبر ، وإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله .

وقد ذكر فى الاقناع عن الشيخ تقى الدين أن من دعا على بن أبي طالب فهو كافر ، وأن من شك فى كفره فهو كافر . فاذا كان هذا حال من شك فى كفره مع عداوته له ومقته ، فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده ، فكيف بمن أحبه ، فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته ، وتعذر أنا لا نقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك وقد قال تعالى (**وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا**) فاذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعذر عن النبيين بالعمل بالتوحيد ومعاداة المشركين بالخوف على أهله وعياله، فكيف بمن اعتذر فى ذلك بتحصيل التجارة ، ولكن الأمر كما تقدم عن عمر : إذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، لهذا لم يفهم معنى القرآن وأنه أشر وأفسد من الذين قالوا (إن نتبع الهدى معك) الآية . ومع هذا فالكلام الذى يظهرونه نفاق ، وإلا فهم يعتقدون أن أهل التوحيد ضالون مضلون وأنعبدةالأوثان أهل الحق والصواب ، كما صرح به إمامهم فى الرسالة التى أتتكم قبل هذه خطه بيده يقول بينى وبينكم أهل الأقطار وهم خير أمة أخرجت للناس ، وهم كذا وكذا . فاذا كان يريد التحاكم إليهم ويصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس ، فكيف أيضا يصفهم بشرك ومخالطتهم للحاجة ، وما أحسن قول أصدق القائلين (**والسماء ذات الحبك ، إنكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك**) (**بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج**)

فرحم الله امرأ نظر فى نفسه وتفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله من معاداة من أشرك بالله من قريب أو بعيد وتكفيرهم وقتالهم حتى يكون الدين كله لله . وعلم ما حكم به محمد صلى الله عليه وسلم فيمن أشرك بالله مع ادعائه الاسلام ، وما حكم فى ذلك الخلفاء الراشدون ، كعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وغيره لما حرقهم بالنار مع أن غيرهم أهل الأوثان الذين لم يدخلوا فى الاسلام لا يقتلون بالتحريق، والله الموفق . وقال أبو العباس ابن تيمية فى الرد على المتكلمين لما ذكر بعض أحوال أئمتهم ، قال :

وكل شرك فى العالم إنما حدث برأى جنسهم ، فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له ، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه ، بل يقر هؤلاء وهؤلاء ، وإن رجح الموحدين ترجيحاً ما ، فقد يرجح غيره المشركين ، وقد يعرض عن الأمرين جميعاً . فتدبر هذا فانه نافع جدا، ولهذا كان رءوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمر بالشرك وكذلك الذين كانوا فى ملة الاسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد بل يسوغون الشرك أو يأمرون به ، أو لا يوجبون التوحيد .

وقد رأيت من مصنفاتهم فى عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك، وهم إذا ادعوا التوحيد إنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل . والتوحيد الذى جاءت به الرسل لابد فيه من التوحيد باخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له : وهذا شيء لا يعرفونه ، فلو كانوا موحدين

بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل ، وذلك لا يكفى فى السعادة والنجاة ، بل لابد أن يعبد الله وحده ويتخذه إلهاً دون ما سواه ، وهذا هو معنى قول لا إله إلا الله .ا ه كلام الشيخ ؛

فتأمل رحمك الله هذا الكلام فانه مثل ما قال الشيخ فيه نادر جداً ، ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين لك حال من أقر بهذا الدين وشهد أنه الحق وأن الشرك هو الباطل ، وقال بلسانه ما أريد منه ، ولكن لا يدين بذلك إما بغضاً له أو عدم محبته كما هى حال المنافقين الذين بين أظهرنا ، وإما ايثاراً لدنيا مثل تجارة أو غيرها ، يدخلون فى الاسلام ثم يخرجون منه كما قال تعالى (**ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا**) **الآية** .وقال تعالى(**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره**) إلى قوله (**ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة** » .

فاذا قال هؤلاء بألسنتهم نشهد أن هذا دين الله ورسوله ، وأن المخالف له باطل وأنه الشرك بالله، غر هذا الكلام ضعيف البصير . وأعظم من هذا وأطم أن أهل حريملا ومن والاهم يصرحون بمسبة الدين ، وأن الحق ما عليه أكثر الناس ، يستدلون بالكثرة على حسن ما هم عليه من الدين ، ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الردة وأفحشها ، فاذا قالوا التوحيد حق ، والشرك باطل ، وأيضاً لم يحدثوا فى بلدهم أوثاناً ، جادل الملحد عنهم وقال إنهم يقرون أن هذا شرك وأن التوحيد هو الحق ولا يضرهم عنده ما هم

عليه من السب لدين الله ، وبغى العوج له ومدح الشرك وذبهم دونه بالمال واليد واللسان . فالله المستعان .

وقال أبو العباس أيضاً فى الكلام على كفر مانعى الزكاة : والصحابة لم يقولوا هل أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها ، هـــذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة ، بل قال الصديق لعمر رضى الله عنهما والله لو منعونى عقالا ــ أو عناقاً ــ كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب وقد روى أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بها ، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهى قتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم ، والشهادة على قتلتهم بالنار وسموهم جميعاً أهل الردة ، وكان من أعظم فضائل الصديق رضى الله عنه أن ثبته الله عند قتالهم ، ولم يتوقف غيره فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله ــ وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة فهؤلاء يقع بينهم نزاع فى قتالهم ــ ا هـ .

فتأمل كلامه رحمه الله فى تكفير المعين والشهادة عليه إذ قتل بالنار وسبى حريمه وأولاده عند منع الزكاة ، فهذا الذى ينسب عنه أعداء الدين عدم تكفير المعين قال رحمه الله بعد ذلك :

وكفر هؤلاء وإدخالهم فى أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة ، اهـ كلامه .

ومن أعظم ما يحل الاشكال فى مسألة التكفير والقتال عمن قصد اتباع الحق : إجماع الصحابة على قتال مانعى الزكاة وإدخالهم فى أهل

الردة وسبى ذراريهم ، وفعلهم فيهم ما صح عنهم ، وهو أول قتال وقع فى الاسلام على من ادعى أنه من المسلمين ، فهذه أول وقعة وقعت فى الاسلام على هذا النوع ، أعنى المدعين للإسلام ، وهى أوضح الوقعات التى وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا ؟

وقال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم . وهم عندى كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور ، وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاى افعل بى كذا وكذا ، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى .ا ه كلامه .

والمراد منه قوله : وهم عندى كفار بهذه الأوضاع .

وقال أيضاً فى كتاب الفنون : لقد عظم الله الحيوان لا سيما ابن آدم حيث أباحه الشرك عند الاكراه ، فمن قدم حرمة نفسك على حرمته حتى أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغى له سبحانه لحقيقى أن تعظم شعائره وتوفر أوامره وزواجره ، وعظم عرضك بإيجاب الحد بقذفك ، وعظم مالك بقطع يد مسلم فى سرقته ، وأسقط شطر الصلاة فى السفر لأجل مشقتك ، وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقاً عليك من مشقة الخلع واللبس وأباحك الميتة سداً لرمقك ، وحفظاً لصحتك ، وزجرك من مضارك بحد عاجل ، ووعيد آجل ، وخرق العوائد لأجلك وأنزل

الكتب إليك ، أحسن لك مع هذا الاكرام أن يراك على ما نهاك منهمكاً ، ولما أمرك تاركاً ، وعلى ما زجرك مرتكباً ، وعن داعيه معرضاً ، ولداعي عدوه فيك مطيعاً ، يعظمك وهو هو ، وتهمل أمره وأنت أنت ، هو حط رتبة عباده لأجلك ، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجدها لأبيك ، هل عاديت خادماً طالت خدمته لك اترك صلاة ؟ هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي ، فان لم تعترف اعتراف العبد للموالى ، فلا أقل أن تقتضي نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المساوى المكافىء ما افحش ما تلاعب الشيطان بالانسان بينما هو يحضره الحق سبحانه ، وملائكة السماء سجود له ، ترامى به الأحوال والجهات إلى أن يوجد ساجداً لصورة في حجر او لشجرة من الشجر أو لشمس أو لقمر أو لصورة ثور خار أو لطائر صفر .

ما أفحش زوال النعم وتغير الأحوال والحور بعد الكور ، لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن يرى إلا عابداً لله في دار التكليف ، أو مجاوراً لله في دار الجزاء والتشريف وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها ، اه كلامه .

والمراد منه أنه جعل أقبح حال وأفحشها من أحوال الإنسان أن يشرك بالله ومثله بأنواع منها السجود للشمس أو للقمر ، ومنها السجود للصورة كما في الصور التي على القبور ، والسجود قديكون بالجبهة على الأرض وقد يكون بالانحناء من غير وصول إلى الأرض كما فسر به قوله تعالى (ادخلوا الباب سجداً) قال ابن عباس : ركعاً.

وقال ابن القيم فى إغاثة اللهفان فى إنكار تعظيم القبور : وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين أن صنف بعض غلاتهم فى ذلك كتاباً سماه « مناسك المشاهد » ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ، ودخول فى دين عبادة الأصنام . اهـ

وهذا الذى ذكره ابن القيم رجل من المصنفين يقال له ابن المفيد فقد رأيت ما فيه بعينه ، فكيف ينكر تكفير المعين ؟

وأما كلام سائر أتباع الأئمة فى التكفير فنذكر منه قليلا من كثير :

أما كلام الحنفية فكلامهم فى هذا من أغلظ الكلام حتى أنهم يكفرون المعين إذا قال مصيحف أو مسيجد أو صلى صلاة بلا وضوء ونحو ذلك . وقال فى النهر الفائق : وعلم أن الشيخ قاسما قال فى شرح درر البحار أن النذر الذى يقع من أكثر العوام بأن يأتى إلى قبر بعض الصلحاء قائلا ياسيدى فلان إن رد غائبى أو عوفى مريضى ، فلك من الذهب أو الفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل إجماعاً لوجوه ـ إلى أن قال ـ ومنها ظن أن الميت يتصرف فى الأمر واعتقاد هذا كفر ـ إلى أن قال ـ وقد ابتلى الناس بذلك لاسيما فى مولد الشيخ أحمد البدوى ، اهـ كلامه ـ فانظر إلى تصريحه أن هذا كفر مع قوله إنه يقع من أكثر العوام وأن أهل العلم قد ابتلوا بما لا قدرة لهم على إزالته .

وقال القرطبى رحمه الله لما ذكر سماع النقر أو صوته قال : هذا حرام بالإجماع . وقد رأيت فتوى شيخ الإسلام جمال الملة أن مستحل هذا كافر ، ولما علم أن حرمته بالإجماع لزم أن يكفر

مستحله ، فقد رأيت كلام القرطبي وكلام الشيخ الذى نقل عنه فى كفر من استحل السماع والرقص مع كونه دون ما نحن فيهبالإجماع بكثير .

وقال أبو العباس رحمه الله : حدثنى ابن الخضيرى عن والده الشيخ الخضيرى إمام الحنفية فى زمانه قال : كان فقهاء بخارى يقولون فى ابن سينا كان كافراً ذكياً ، فهذا إمام الحنفية فى زمنه حكى عن فقهاء بخارى جملة كفر ابن سينا وهو رجل معين مصنف يتظاهر بالإسلام .

وأما كلام المالكية فى هذا فهو أكثر من أن يحصر وقد اشتهر عن فقائهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التى لا يفطن لها أكثر الناس ، وقد ذكر القاضى عياض فى آخر كتاب الشفاء من ذلك طرفاً ، ومما ذكر أن من حلف بغير الله على وجه التعظيم كفر ، وكل هذا دون ما نحن فيه بما لا نسبة بينه وبينه .

وأما كلام الشافعية فقال صاحب الروضة رحمه الله : إن المسلم فى الكلام إذا ذبح للنبي صلى الله عليه وسلم كفر ، وقال أيضاً : من شك فى كفر طائفة ابن عربى فهو كافر ، وكان هذا دون ما نحن فيه .

وقال ابن حجر فى شرح الأربعين على حديث ابن عباس « **إذا سألت فاسأل الله**» وما معناه أن من دعا غير الله فهو كافر وصنف فى هذا النوع كتاباً مستقلا سماه « الإعلام بقواطع الإسلام » ذكر فيه أنواعاً كثيرة من الأقوال والأفعال كل واحد منها ذكر أنه

يخرج من الإسلام ويكفر به المعين، وغالبه لا يساوى عشير معشار ما نحن فيه.

وتمام الكلام فى هذا أن يقال: الكلام هنا فى مسألتين (الأولى) أن يقال: هذا الذى يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين ومع كثير من الأحياء والأموات والجن من التوجه إليهم، ودعائهم، لكشف الضر، والنذر لهم لأجل ذلك: هل هو الشرك الأكبر الذى فعله قوم نوح ومن بعدهم إلى أن انتهى الأمر إلى قوم خاتم الرسل قريش وغيرهم، فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ينكر عليهم ذلك ويكفرهم ويأمر بقتالهم حتى يكون الدين كله لله؟ أم هذا شرك أصغر، وشرك المتقدمين غير هذا؟ فاعلم أن الكلام فى هذه المسألة سهل على من يسره الله عليه بسبب أن علماء المشركين اليوم يقرون أنه الشرك الأكبر ولا ينكرونه إلا ما كان من مسيلمة الكذاب وأصحابه كابن إسماعيل وابن خالد مع تناقضهم فى ذلك واضطرابهم، فأكثر أحوالهم يقرون أنه الشرك الأكبر، ولكن يعتذرون بأن أهله لم تبلغهم الدعوة وتارة يقولون لا يكفر إلا ما كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وتارة يقولون إنه شرك أصغر وينسبونه لابن القيم فى المدارج كما تقدم، وتارة لا يذكرون شيئاً من ذلك بل يعظمون أهله وطريقتهم فى الجملة، وأنهم خير أمة أخرجت للناس، وأنهم العلماء الذين يجب رد الأمر عند التنازع إليهم، وغير ذلك من الأقاويل المضطربة.

وجواب هؤلاء كثير فى الكتاب والسنة والإجماع، ومن

أصرح ما يجاوبون به إقرارهم فى غالب الأوقات أن هذا هو الشرك الأكبر ، وأيضاً إقرار غيرهم من علماء الأقطار مع أن أكثرهم قد دخل فى الشرك وجاهد أهل التوحيد ، لكن لم يجدوا بداً من الإقرار به لوضوحه .

(المسألة الثانية) الإقرار بأن هذا هو الشرك الأكبر ، ولكن لا يكفر به إلا من أنكر الإسلام جملة وكذب الرسول والقرآن ، واتبع يهودية أو نصرانية أو غيرهما ، وهذا هو الذى يجادل به أهل الشرك والعناد فى هذه الأوقات ، وإلا المسألة الأولى قل الجدال فيها ولله الحمد لما وقع من إقرار علماء المشركين بها ، فاعلم أن تصور هذه المسألة تصوراً حسناً يكفى فى إبطالها من غير دليل خاص لوجهين : (الأول) أن مقتضى قولهم إن الشرك بالله وعبادة الأصنام لا تأثير لها فى التكفير لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها وكذب الرسول والقرآن فهو كافر وإن لم يعبد الأوثان كاليهود ، فاذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذا أشرك الشرك الأكبر ، لأنه مسلم يقول لا إله إلا الله ويصلى ، ويفعل كذا وكذا، لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير ، بل يكون ذلك كالسواد فى الخلقة أو العمى أو العرج فان كان صاحبها يدعى الإسلام فهو مسلم،وإن ادعى ملة غيرها فهو كافر ، وهذه فضيحة عظيمة كافية فى رد هذا القول الفظيع .

(الوجه الثانى) أن معصية الرسول فى الشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم كفر صريح بالفطر والعقول والعلوم الضرورية ، فلا

يتصور أنك تقول لرجل ولو هو من أجهل الناس وأبلدهم: ماتقول فيمن عصى الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينقد له فى ترك عبادة الأوثان والشرك مع أنه يدعى أنه مسلم متبع ، إلا ويبادر بالفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر من غير نظر فى الأدلة أو سؤال أحد من العلماء، ولكن لغلبة الجهل وغرابة العلم وكثرة من يتكلم بهذه المسألة من الملحدين اشتبه الأمر فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يحبون الحق، فلا تحقرها وأمعن النظر فى الأدلة التفصيلية، لعل الله أن يمن عليك بالإيمان الثابت ويجعلك من الأئمة الذين يهدون بأمره، فمن أحسن ما يزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمن يقيناً ما جرى من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى الإسلام، كما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث البراء ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله ، ومثل همه بغزو بنى المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة ، ومثل قتال الصديق وأصحابه لمانعى الزكاة وسبى ذراريهم ، وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين ، ومثل إجماع الصحابة فى زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا لما فهموا من قوله تعالى **(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا)** حل الخمر لبعض الخواص ، ومثل إجماع الصحابة فى زمن عثمان فى تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة فى نبوة مسيلمة مع أنهم لم يتبعوه ، وإنما اختلف الصحابة فى قبولهم توبتهم . ومثل تحريق على رضى الله عنه أصحابه لما غلوا فيه ، ومثل إجماع التابعين

مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عبيد ومن اتبعه مع أنه يدعى أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت ، ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم وهو مشهور بالعلم والدين ، وهلم جرا من وقائع لا تعد ولا تحصى ، ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره كيف تقاتل بنى حنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويزكون ، وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا . وهلم جرا إلى زمن بنى عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالإسلام وصلاة الجمعة والجماعة ، ونصب القضاة والمفتين لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا لم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم ، ولم يتوقفوا فيه ، وهم فى زمن ابن الجوزى والموفق ، وصنف ابن الجوزى كتاباً لما أخذت مصر منهم سماه (النصر على فتح مصر) ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحداً أنكر شيئاً من ذلك أو استشكل لأجل ادعائهم الملة أو لأجل قول لا إله إلا الله أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام إلا ما سمعناه من هؤلاء الملاعين فى هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو الشرك ولكن من فعله أو حسنه أو كان مع أهله أو ذم التوحيد أو حارب أهله لأجله أو أبغضهم لأجله أنه لا يكفر لأنه يقول لا إله إلا الله ، أو لأنه يؤدى أركان الإسلام الخمسة ، ويستدلون بأن النبي صلى الله عليه وسلم سماها الإسلام .

هذا لم يسمع قط إلا من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين ،

فان ظفروا بحرف واحد من أهل العلم أو أحد منهم يستدلون به على قولهم الفاحش الأحمق فليذكروه ، ولكن الأمر كما قال اليمنى فى قصيدته :

أقاويل لا تعزى إلى عالم فــلا تساوى فلساً إن رجعت إلى النقد

ولنختم الكلام فى هذا النوع بماذكره البخارى فى صحيحه حيث قال :

(باب يتغير الزمان حتى تعبد الأوثان)

ثم ذكر باسناد قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذى الخلصة ، وذو الخلصة صنم لدوس يعبدونه فقال صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله « **ألا تريحنى من ذى الخلصة ؟** » فركب إليه بمن معه فأحرقه وهدمه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره قال : فبرك على خيل أحمس ورجالها خمساً . وعادة البخارى رحمه الله إذا لم يكن الحديث على شرطه ذكره فى الترجمة ثم أتى بما يدل على معناه مما هو على شرطه ، ولفظ الترجمة وهو قوله : يتغير الزمان حتى تعبد الأوثان ، لفظ حديث أخرجه غيره من الأئمة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ولنذكر من كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام أئمة العلم جملا فى جهاد القلب واللسان ، ومعاداة أعداء الله وموالاة أوليائه وأن الدين لا يصح ولا يدخل الإنسان فيه إلا بذلك فنقول :

(باب فى وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين)

وقول الله تعالى (**وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، إنكم إذا مثلهم**) وقوله تعالى (**ومن يتولهم منكم فانه منهم**) وقوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء**) إلى قوله (**كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**) وقوله تعالى (**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم**) .

وقال الإمام الحافظ محمد بن وضاح أخبرنى غير واحد أن أسد ابن موسى كتب إلى أسد ابن فرات : إعلم يا أخى أن ما حملنى على الكتاب إليك إلا ذكر أهل بلدك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة وعيبك لأهل البدع وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم ، فقمعهم الله بك ، وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم باظهار عيبهم والطعن عليهم ، فأذلهم الله بيدك ، وصاروا ببدعتهم مستترين ، فابشر يا أخى بثواب ذلك واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد ، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله تعالى وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحيا شيئاً من سنتى كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين ـ وضم بين إصبعيه » وقال « أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان

له مثل أجر من اتبعه إلى يوم القيامة » فمتى يدرك أجر هذا شيء من عمله ؟ وذكر أيضاً أن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً يذب عنها وينطق بعلاماتها .

فاغتنم يا أخي هذا الفضل وكن من أهله ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من كذا وكذا » وأعظم القول فيه، فاغتنم ذلك وادع إلى السنة حتى يكون لك في ذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك ، إن حدث بك حدث ، فيكونون أئمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء في الأثر ، فاعمل على بصيرة ونية وحسبة فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر ، فتكون خلفاً من نبيك صلى الله عليه وسلم فانك لن تلقى الله بعمل يشبهه .

وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب ، فانه جاء الأثر « من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه ، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام » وجاء « ما من إله يعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى » وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل البدع وأن الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلا ولا فريضة ولا تطوعاً ، وكلما زادوا اجتهاداً أو صوماً وصلاة ازدادوا من الله بعداً ، فارفض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله ، وأذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى بعده اهـ كلام أسد رحمه الله تعالى .

واعلم رحمك الله أن كلامه وما يأتي من كلام أمثاله من السلف

فى معاداة أهل البدع والضلالة ، ضلالة لا تخرج عن الملة ، لكنهم شددوا فى ذلك وحذروا منه لأمرين (**الأول**)غلظ البدعة فى الدين فى نفسها فهى عندهم أجل من الكبائر ، ويعاملون أهلها بأغلظ مما يعاملون أهل الكبائر ، كما تجد فى قلوب الناس اليوم أن الرافضى عندهم ولو كان عالماً عابداً أبغض وأشد ذنباً من السنى المجاهر بالكبائر (**الأمر الثانى**)أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع ، فمثال البدعة التى شددوا فيها مثل تشديد النبى صلى الله عليه وسلم فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح خوفاً مما وقع من الشرك الصريح الذى يصير به المسلم مرتداً .

فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام فى الردة ومجاهدة أهلها أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله ، وهذا هو الذى نزلت فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى (**يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه**) الآية وقوله تعالى (**يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم وبئس المصير**)(**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم**) الآية.

وقال ابن وضاح فى كتاب البدع والحوادث بعد حديث ذكره أنه سيقع فى هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة — قال رحمه الله : إن فتنة الكفر هى الردة يحل فيها السبي والأموال ، وفتنة الضلالة لا يحل فيها السبي والأموال . (لعله هذا الذى نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السبي ولا الأموال) وقال رحمه الله أيضاً : أخبرنا

أسد أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال . قال ابن مسعود : إن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً من أوليائه يذب عنه وينطق بعلاماتها ، فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا .

ثم ذكر باسناده عن بعض السلف قال : لأن أرد رجلا عن رأى سيء أحب إلى من اعتكاف شهر . أخبرنا أسد عن أبي إسحق الحذا عن الأوزاعى قال : كان بعض أهل العلم يقولون : لا يقبل الله من ذى بدعة صلاة ولا صدقة ولا صياماً ولا جهاداً ولا حجاً ولا صرفاً ولا عدلا . وكانت أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم ، وتشمئز منهم قلوبهم ، ويحذرون الناس بدعتهم ، قال ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ما كان لأحد أن يهتك ستراً عليهم ، ولا يظهر منهم عورة الله أولى بالأخذ بها وبالتوبة عليها ، فأما إذا جاهروا فنشر العلم حياة والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة يعتصم بها على مصر ملحد .

ثم روى باسناده قال جاء رجل إلى حذيفة وأبو موسى الأشعرى قاعد فقال أرأيت رجلا ضرب بسيفه غضباً لله حتى قتل أفى الجنة أم فى النار ؟ فقال أبو موسى : فى الجنة . فقال حذيفة استفهم الرجل وأفهمه ما تقول ، حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فلما كان فى الثالثة قال والله لأستفهمه ، فدعا به حذيفة فقال رويدك وما يدريك أن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو فى الجنة ، وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله

للحق فهو فى النار ، ثم قال : والذى نفسى بيده ليدخلن النار فى مثل الذى سألت عنه أكثر من كذا وكذا ثم ذكر باسناده عن الحسن قال : لا تجالس صاحب بدعة فانه يمرض قلبك ، ثم ذكر باسناده عن سفيان الثورى قال : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره وإما أن يقع فى قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار ، وإما أن يقول والله ما أبالى ما تكلموه وإنى واثق بنفسى ، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه . ثم ذكر باسناده عن بعض السلف قال : من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام .

أخبرنا أسد قال حدثنا كثير أبو سعيد قال من جلس إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه . أخبرنا أسد بن موسى قال أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال قال أبو قلابة لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فانى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون . قال أيوب وكان والله من الفقهاء ذوى الألباب .

أخبرنا أسد بن موسى قال أخبرنا زيد عن محمد بن طلحة قال قال إبراهيم لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فانى أخاف أن ترد قلوبكم . أخبرنا أسد بالإسناد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** » أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال دخل على محمد بن سيرين يوماً رجل

فقال يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج ؟ فوضع إصبعيه فى أذنيه ثم قال : أحرج عليك إن كنت مسلماً لما خرجت من بيتى ، قال فقال يا أبا بكر لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج ، فقال بازاره يشد عليه وتهيأ للقيام . قال فأقبلنا على الرجل فقلنا قد حرج عليك إلا خرجت أفيحل لك أن تخرج رجلا من بيته ؟ قال فخرج ، فقلنا يا أبا بكر ما عليك لو قرأ آية ثم خرج؟ قال إنى والله لو ظننت أن قلبي يثبت على ما هو عليه مابااليت أن يقرأ ولكن خفت أن يلقى فى قلبي شيئاً أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع .

أخبرنا أسد قال أخبرنا ضمرة عن سودة قال سمعت عبد الله ابن القاسم وهو يقول : ما كان عبد على هوى فتركه إلا آل إلى ما هو شر منه . قال فذكرت ذلك لبعض أصحابنا فقال تصديقه فى حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه .

أخبرنا أسد قال أخبرنا موسى بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال كان رجل يرى رأياً فرجع عنه فأتيت محمد فرحاً بذلك فأخبرته فقلت أشعرت أن فلاناً ترك رأيه الذى كان يرى ؟ فقال انظروا إلى ما يتحول إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله يمرقون من الإسلام لا يعودون إليه . ثم روى باسناده عن حذيفة أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها فى كفه ثم قال : إن هذا الدين قد استضاء

استضاءة هذه الحصاة . ثم أخذ كفاً من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال : والذى نفسى بيده ليجيئن أقوام يدفنون الدين كما دفنت هذه الحصاة .

أخبرنا محمد بن سعيد باسناده عن أبى الدرداء قال : لو خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم إليكم ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة . قال الأوزاعى فكيف لو كان اليوم ، قال عيسى ، يعنى الراوى عن الأوزاعى فكيف لو أدرك الأوزاعى هذا الزمان ؟

أخبرنا محمد بن سليمان باسناده عن على أنه قال : تعلموا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله فانه سيأتى بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم . أخبرنا يحيى باسناده عن أبى سهل بن مالك عن أبيه أنه قال ما أعرف منكم شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة . حدثنى إبراهيم بن محمد باسناده عن أنس قال ما أعرف منكم شيئاً كنت أعهده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس قولكم لا إله إلا الله . أخبرنا أسد باسناده عن الحسن قال لو أن رجلا أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الاسلام شيئاً قال ووضع يده على خده ثم قال إلا هذه الصلاة ، ثم قال أما والله لمن عاش فى هذه النكرا ولم يدرك هذا السلف الصالح فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعته ، ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله عن ذلك ، وجعل قلبه يحن إلى ذكر هذا السلف الصالح ويقتص

آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض أجرا عظيما فكذلك كونوا إن شاء الله تعالى . .

حدثنى محمد بن عبدالله بن محمد باسناده عن ميمون بن مهران قال لو أن رجلا نشر فيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة .

أخبرنا محمد بن قدامة باسناده عن أم الدرداء قالت دخل على أبو الدرداء مغضباً فقلت له ما أغضبك ؟ فقال والله ما أعرف فيهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم إلا أنهم يصلون جميعاً ، وفى لفظ . لو أن رجلا تعلم الاسلام وأهمه ثم تفقده ما عرف منه شيئاً .

حدثنى ابراهيم باسناده عن عبدالله بن عمرو قال لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفيهما فى بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه . قال مالك وبلغنى أن أبا هريرة رضى الله عنه تلا (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً) فقال والذى نفسى بيده أن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً .

قف تأمل رحمك الله ، إذا كان هذا فى زمن التابعين بحضره أواخر الصحابة فكيف يغتر المسلم بالكثرة أو تشكل عليه ، أو لا يستدل بها على الباطل .

ثم روى ابن وضاح باسناده عن أبى أمية قال : أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت يا أبا ثعلبة كيف تصنع هذه الآية ؟ قال أية آية ؟

قلت قول الله تعالى (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام ، فان من ورائكم أيام ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله » قيل يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم .

ثم روى باسناده عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « طوبى للغرباء » ثلاثاً قالوا يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال ناس صالحون قليل فى أناس سوء كثير ، من يبغضهم أكثر ممن يحبهم .

أخبرنا محمد بن سعيد باسناده عن المعافرى قال قال رسول الله « طوبى للغرباء الذين يتمسكون بكتاب الله حين ينكر ، ويعملون بالسنة حين تطفى » أخبرنا أسد باسناده عن سالم بن عبدالله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بدأ الاسلام غريباً ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً فطوبى للغرباء حين يفسد الناس ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس » .

أخبرنا أسد باسناده عن عبدالله أنه سمع رسول الله يقول « إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال « الذين يصلحون إذا فسد الناس » هذا

آخر ما نقلته من كتاب البدع والحوادث للإمام الحافظ محمد ابن وضاح .

فتأمل رحمك الله أحاديث الغربة وبعضها فى الصحيح مع كثرتها وشهرتها ، وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وقع فى زمن طويل حتى قال ابن القيم رحمه الله « الاسلام فى زماننا أغرب منه فى أول ظهوره » فتأمل هذا تأملا جيداً لعلك أن تسلم من هذه الهوة الكبيرة التى هلك فيها أكثر الناس وهى الاقتداء بالكثرة والسواد الأكبر ، والنفرة من الأقل ، فما أقل من سلم منها ، ما أقله .

ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم فى صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ويعتقدون بأمره » وفى رواية « يهتدون بهديه ، ويستنون بسنته ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » اهـ ما نقلته والحمد لله رب العالمين .

وقد رأيت للشيخ تقى الدين رسالة كتبها وهو فى السجن إلى بعض اخوانه لما أرسلوا إليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص

من السجن ، أحببت أن أنقل أولها لعظم منفعته . قال رحمه الله تعالى : الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً . أما بعد فقد وصلت الورقة التى فيها رسالة الشيخين الناسكين القدوتين أيدهما الله وسائر الاخوان بروح منه وكتب فى قلوبهم الايمان وأدخلهم مدخل صدق وأخرجهم مخرج صدق ، وجعل لهم من لدنه ما ينصر به من السلطان سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان ، وسلطان القدرة والنصرة باللسان والاخوان ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه الغالبين لمن ناوأهم من الأقران ، ومن الأئمة الذين جمعوا بين المصير والايقان والله محقق ذلك ومنجز وعده فى السر والاعلان ، ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن ، لكن بما اقتضته حكمته ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان ، الذى يميز الله به أهل الصدق والايمان ، من أهل النفاق والبهتان . إذ قد دل كتابه على أنه لابد من الفتنة لكل من ادعى الايمان ، والعقوبة لذوى الاساءات والطغيان . فقال تعالى(**الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا : ساء ما يحكمون**)

فأنكر سبحانه على من ظن أن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب ، وأن مدعى الايمان يتركون بلا فتنة تميز بين الصادق والكاذب ، وأخبر فى كتابه أن الصدق فى الايمان لا يكون إلا بالجهاد فى سبيله ، فقال تعالى **(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم ، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ، إن الله غفور رحيم ،إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا)** وأخبر سبحانه وتعالى بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة الذى يعبد الله على حرف ، وهو الجانب والطرف الذى لا يستقر من هو عليه ، بل لا يثبت على الايمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا فقـــال تعالى**(ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين)** وقال تعالى **(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)**وقال تعالى**(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)** وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين فلابد من وجود المحبين بين المجاهدين فقال تعالى**(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه)** وهؤلاء هم الشاكرون لنعمة الايمان ، الصابرون على الامتحان كما قال تعالى **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)** ــ إلى قوله ــ**(والله يحب المحسنين)** .

فاذا أنعم الله على إنسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضى له من القضاء خيراً له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقضى للؤمن قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له » والصبار الشكور هو المؤمن الذى ذكر الله فى غير موضع من كتابه . ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال ، وكل واحد من السراءوالضراء فى حقه يفضى به إلى قبيح المآل ، فكيف إذا كان ذلك فى الأمور العظيمة التى هى محن الأنبياء والصديقين ، ومنها تثبت أصول الدين وحفظ الايمان والقرآن من كيد أهل النفاق والالحاد والبهتان .

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله ، والله المسئول أن يثبتكم وسائر المسلمين بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويتم نعمه عليكم الظاهرة والباطنة وينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين المنافقين الذين أمرنا بجهادهم ، والاغلاظ عليهم فى كتابه المبين . اه نقلته من كلام أبى العباس رحمه الله .

ومن جواب له رحمه الله لما سئل عن الحشيشة ما يجب على من يدعى أن أكلها جائز فقال :

أكل هذه الحشيشة حرام ، وهى أخبث الخبائث المحرمة ، سواء أكل منها كثيراً أو قليلا لكن الكثير المسكر منها حرام باتفاق المسلمين ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب فان تاب

وإلا قتل كافراً مرتداً لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين وحكم المرتد شر من حكم اليهود والنصارى سواء اعتقد أن ذلك يحل للعامة أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر وأنها تحرك العزم الساكن وتنفع فى الطريق ، وقد كان بعض السلف ظن أن الخمر يباح للخاصة متأولا قوله تعالى (**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح**) فاتفق عمر وعلى وغيرهما من علماء الصحابة على أنهم إن أقروا بالتحريم جلدوا ، وإن أصروا على الاستحلال قتلوا . ا هـ ما نقلته من كلام الشيخ رحمه الله تعالى .

فتأمل كلام هذا الذى ينسب عنه عدم تكفير المعين إذا جاهر بسب دين الأنبياء وصار مع أهل الشرك ، ويزعم أنهم على الحق ، ويأمر بالمصير معهم ، وينكر على من لا يسب التوحيد ، ويدخل مع المشركين لأجل انتسابه الاسلام .

انظر كيف كفر المعين ولو كان عابداً باستحلال الحشيشة ، ولو زعم حلها للخاصة الذين تعينهم على الفكرة ، واستدل باجماع الصحابة على تكفير قدامة وأصحابه إن لم يتوبوا ، وكلامه فى المعين وكلام الصحابة فى المعين فكيف بما نحن فيه مما لا يساوى استحلال الحشيشة جزءاً من ألف جزء منه ؟

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

تمت الرسالة والحمد لله

فهرس

رسالة رسالة ...

عقيدة السلف أصحاب الحديث .

تجريد التوحيد

الرسالة الرابعة تطهير الإعتقاد من أدران الإلحاد

الرسالة الخامسة عقيدة الفرقة الناجية

الرسالة السادسة مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد